بيتر ستراوب - ستيفن كينج

التعويذة

الجزء الأول - انطفاء چاك

ترجمة: منى عبد اللطيف

سما للنشر والتوزيع

ساحر الكتب

© 2026، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ج.م.ع.

تحذير: هذا المؤلف محمي بموجب قوانين حقوق التأليف والطبع والنشر والاتفاقيات الدولية، ولا يجوز استنساخ أي جزء منه أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير أو تسجيل أو غير ذلك دون إذن مُسبق من الناشر، وأي نسخ أو توزيع غير مُصرح به كتابيًّا من الناشر لهذا المؤلف أو لجزء منه، قد ينتج عنه الملاحقة القانونية المدنية والجزائية إلى أقصى حدود القانون.

إشراف عام: نجلاء محمد رضا قاسم

اســم الـكـتــاب: التعويذة ج 1 - انطفاء جاك
اســـم المؤلــف: بيتر استوب - ستيفن كينج
اســـم المترجم : منى عبد اللطيف
النـــاشـــــر: سما للنشر والتوزيع
إخـراج داخــلى : محمد على حنفى
الترقيــم الــدولى: 978-977-781-849-0
رقـــم الإيــداع: 2026/4570

دار سما للنشر والتوزيع
15 يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة - ج.م.ع.
تليفون: 24517300 202+ / 01271919100 2+
email: samanasher@yahoo.com

الفصل الأول

حدائق نُزل قصر الحمراء

١

في الخامس عشر من سبتمبر، وقف ولد يُدعى جاك سوير حيث عانق يبوس الأرض مياهها، واضعا يديه في جيبي سرواله، سابحًا بعينيه في المحيط الأطلسي الهادئ، كان في الثانية عشر من عمره لكنه يبدوا أطول، تداعب نسمات المحيط شعره البني الطويل الذي تراجع للخلف على إثرها فظهر حاجبيه المهذبين.

ماكث هو هناك مشحوذًا بمشاعر مختلطة بين الارتباك والحزن الذي عاشه في الثلاثة أشهر الأخيرة... منذ أُغلقت والدته منزلهم في روديو درايف في لوس أنجلوس، وفي خضم موجة تماهت بين نقل الأثاث وتداول الشيكات ووكلاء العقارات، استأجرت شقة في سنترال بارك ويست.

ثم.. ومن تلك الشقة فروا إلى هذا المنتجع الهادئ على الساحل الصغير لنيو هامبشاير. فتبخر النظام من حياة جاك وحل محله فيض من العبث والتقلبات الخارجة عن السيطرة كالمياه المتلاطمة أمامه...

ساقته والدته عبر العالم تنقله من مكان لآخر؛ لكن ما الذي دفعها لفعل ذلك؟!

تلك التي أخذت تركض وتركض...

استدار جاك، ناظرًا إلى الشاطئ الخاوي يسارًا، ثم يمينًا.

على اليسار كانت أركاديا فن وورلد، مدينة الملاهي التي تعجّ بالنشاط والحيوية من يوم الذكرى حتى عيد العمال.

كانت تقف فارغة كقلب سكن نبضه، كانت الأفعوانية بمثابة سقالة في مواجهة السماء الملبدة بالغيوم، والدعامات العمودية والمائلة تشبه خطوط رُسمت بالفحم.

وهناك أيضًا كان صديقه الجديد سبيدي باركر، لكنه لم يستطع التفكير فيه الآن...

وعلى اليمين انبسطت حدائق نُزل قصر الحمراء، حيث كان يفكر بلا هوادة يوم وصولهم، حتى ظنّ للحظة أنه رأى قوس قزح على سطحها المقوس المتلاعب، فتساءل ربما كانت إشارةٌ من نوع ما، وعدٌ بأمورٍ أفضل. لكن لم يكن هناك قوس قزح...

فقط كانت دوارة الريح تلك العالقة بين تيارات متعاكسة فتارة تدور يمينًا وتارة يسارًا، وقتها ترجل من سياتهما المستأجرة غير عابئًا بمساعدة والدته في حمل متاعهم ولا لرغبتها في ذلك وإن لم تُصرح.. ونظر أعلى دوارة الريح النحاسية لكنه لم يجد سوى سماء صافية.

"أفتح صندوق السيارة وأحضر الحقائب يا بني" هكذا نادته أمه تلك الممثلة العجوز المحطمة التي تريد التحقق من وجود

شرابها...

رد جاك «يوجد مارتيني»

راحت تردد دافعة جسدها عن مقعد السيارة (أنت لست عجوزًا إلى هذا الحد)

(أنت لست عجوزًا إلى هذا الحد)

ثم ابتسمت له ببريق ليلي كافانو (سوير)، العجوز الشمطاء، ملكة أفلام الدرجة الثانية على مدى عقدين، وعدلت ظهرها مطمئنة إياه «سيكون كل شيء على ما يرام جاكي، كل شيء سيكون بخير في هذا المكان الجميل»، حلق نورس فوق سطح الفندق وللحظة انتاب جاك القلق من أن تكون دوارة الرياح النحاسية قد طارت!

"سوف نبتعد عن المكالمات الهاتفية تلك الفترة، حسنًا؟"

رد جاك «بالتأكيد»

كانت تريد الاختباء من العم تومي، وتجنب المشاحنات مع شريك زوجها المتوفي في العمل، أرادت فقط أن تنفرد بكأس مارتيني زاحفة على سريرها متدثرة بالغطاء حتى رأسها...

"ماذا بك يا أمي؟"

"هناك الكثير من الموت، وكأنه يحتل نصف العالم..."

صرخ النورس في السماء!

فقالت أمه «هيا بنا يا فتى تحرك، إلى هذا المكان الرائع»

ردد جاك في خاطره «على الأقل هناك العم تومي في حال ساءت الأمور أكثر من ذلك»

لكنه لم يكن يعلم أن العم تومي قد مات بالفعل، لكن الخبر لم يصلهم حتى الآن عبر أسلاك الهاتف...

٢

أطلّ قصر الحمراء على الماء، كان عبارة عن كومة ضخمة من العصر الفيكتوري مبنية على كتل جرانيتية عملاقة، اندمجا وكأنهما رأس، وترقوة بارزة من الجرانيت ماكتان هنا على بضعة أميال قليلة من ساحل نيو هامبشاير البحري.

كانت الحدائق منبسطة على جانبه المواجه لليابسة بالكاد مرئية من زاوية جاك المطلة على الشاطئ، وكأنها محض سياج أخضر داكن فقط...

وقفت الديك النحاسي مادا بصره من الغرب للشمال الغربي في مواجهة السماء. وأعلنت لوحة في الردهة أنه في هذا المكان، عام ١٨٣٨، عُقد المؤتمر الميثودي الشمالي ويعتبر أولى مسيرات إلغاء العبودية الكبرى في نيو إنجلاند حيث ألقى دانيال وبستر خطابًا حماسيًا ملهمًا. ووفقًا للوحة، قال وبستر: «من الآن فصاعدًا، اعلموا أن العبودية كمنظومة أمريكية بدأت تتمارض، ستزول قريبًا في جميع ولاياتنا وأراضينا الإقليمية».

٣

لقد وصلوا في مثل هذا اليوم في الأسبوع الماضي تاركين خلفهما صخب الحياة في نيويورك، ففي أركاديا بيتش ليس هناك محامون يعملون لدى مورغان سلوت، يخرجون من سياراتهم ويلوحون بأوراقٍ يجب توقيعها من السيدة سوير.

في أركاديا بيتش، لم تكن الهواتف ترن من الظهر حتى الثالثة صباحًا (وكأن العم مورغان غفل أن سكان سنترال بارك ويست ليسوا على توقيت كاليفورنيا).

في الواقع، لم تكن الهواتف في أركاديا بيتش ترن إطلاقًا!

في طريقه إلى المدينة السياحية الصغيرة، بينما كانت والدته تقود سيارتها بنظراتٍ مُتفحصة، لم يرَ جاك سوى شخصٍ واحدٍ في الشوارع كان رجلٌ عجوزٌ مجنون يدفع عربة تسوقٍ فارغةً على الرصيف بتهور، وكانت السماءُ الرماديةُ فوقهم مُظلمةً مُزعجة، على النقيضِ التامِّ لنيويورك، لم يكن هنا سوى صوتِ الرياحِ المُستمر، تُصدرُ صفيرها في شوارعٍ مهجورةٍ بدتْ واسعةً جدًا، خاليةً من حركةِ المرور.

هنا المتاجر فارغةٌ، وعلى واجهاتها لافتات تقول: «مفتوحٌ في عطلاتِ نهايةِ الأسبوعِ فقط»، أو الأسوأ من ذلك: «أراكَ في يونيو!».

كان هناك مائةُ موقفٍ فارغٍ للسياراتِ في الشارعِ أمامَ قصرِ الحمراء، وطاولاتٌ فارغةٌ في متجرِ أركاديا للشاي والمربى

المجاور.

ورجالٌ مُسنّونَ رثّو الثيابِ يدفعون عرباتِ التسوقِ في شوارعٍ مهجورة.

"لقد قضيت أسعد ثلاثة أسابيع في حياتي في هذا المكان الصغير المضحك" قالتها ليلي، وهي تقود سيارتها متجاوزة الرجل العجوز (الذي استدار، حين رأى جاك، لينظر إليهم بشك خائف، مردّدًا شيء ما لم يستطع جاك تمييزه) ثم قادت السيارة على الطريق المنحني عبر الحدائق الأمامية للفندق.

لهذا السبب جمعوا كل ما لا يمكنهم العيش بدونه في حقائب سفر وحقائب يد وأكياس تسوق بلاستيكية، وأداروا المفتاح في قفل باب الشقة (متجاهلين رنين الهاتف الحاد، الذي بدا وكأنه يخترق نفس ثقب المفتاح ويطاردهم في الردهة)؛ ولهذا السبب أيضًا ملأوا صندوق السيارة المستأجرة والمقعد الخلفي بكل صناديقهم وحقائبهم الممتلئة وقضوا ساعات في الزحف شمالًا على طول طريق هنري هدسون باركواي، ثم ساعات أخرى عديدة في السير على الطريق السريع 95 لأن ليلي كافانو سوير كانت سعيدة هنا ذات يوم...

في عام 1968، قبل عام من ولادة جاك، رُشحت ليلي لجائزة الأوسكار عن دورها في فيلم يسمى احتراق. كان فيلم احتراق أفضل من معظم أفلام ليلي، وقد تمكنت فيه من إظهار موهبة أكثر ثراءً مما كشفت عنه أدوار الفتاة الشريرة

المعتادة، لم يتوقع أحد أن تفوز ليلي، وبالأخص ليلي التي كانت تؤمن بالمقولة الشائعة عن حقيقة كون الترشيح شرفًا حقيقيًا... ولقد شعرت بالفخر بعمق وصدق، وللاحتفال بهذه اللحظة الفريدة من التقدير المهني الحقيقي، قام فيل سوير بحكمته المعهودة باصطحابها لمدة ثلاثة أسابيع إلى فندق وحدائق الحمراء، على الجانب الآخر من القارة، حيث شاهدا حفل توزيع جوائز الأوسكار وهما يشربان الشمبانيا على السرير. (لو كان جاك أكبر سنًا، أو أكثر حرصًا، لربما كان قد تخلص من كل ما هو ضروري واكتشف أن الحمراء كانت نقطة انطلاقته الأساسية).

عندما قُرئت ترشيحات أفضل ممثلة مساعدة، وفقًا للرواية العائلية، هدأت ليلي فيل قائلةً «إذا فزتُ بتلك الجائزة ولم أكن هناك، سوف أقفز كالقرد على صدرك بحذائي ذي الكعب العالي».

لكن عندما فازت روث جوردون، قالت ليلي: «بالتأكيد، تستحق ذلك، إنها فتاة رائعة». ونقرت زوجها على الفور في منتصف صدره قائلة "من الأفضل أن تحصل لي على دور آخر كهذا، يا وكيلي العزيز".

لم تُعرض عليها أدوار أخرى كهذا الدور، وكان آخر دور لليلي، بعد عامين من وفاة فيل، دور عاهرة سابقة متشائمة في فيلم بعنوان «مهووسو الدراجات النارية».

كانت تلك هي الفترة التي تُحييها ليلي الآن، عرف جاك ذلك

وهو يُخرج الأمتعة من صندوق السيارة والمقعد الخلفي. تمزقت حقيبة داغوستينو داخل صندوق السيارة الكبير، وتناثرت كومة من الجوارب الملفوفة والصور الفوتوغرافية وقطع الشطرنج والرقعة والقصص المصورة على كل شيء آخر في الصندوق. تمكن جاك من وضع معظم هذه الأغراض في حقائب أخرى، وليلي تصعد درجات الفندق ببطء، تجر نفسها على الدرابزين كامرأة عجوز.

ثم قالت دون أن تلتفت إليه "سأجد عامل الأمتعة".

نهض جاك من بين الحقائب المنتفخة ونظر مرة أخرى إلى السماء حيث كان متأكدًا من أنه رأى قوس قزح، لكن لم يكن هناك قوس قزح، فقط تلك السماء الملبدة المزعجة.

وفجأة..

سمع أحدهم يناديه من خلفه "تعال إليّ"

استدار متسائلا بفزع "ماذا؟"، لكنه لم يجد سوى الحدائق الفارغة الممتدة والطريق أمامه.

ردت أمه التي بدت وكأنها تعيد تسترجع الأيام وهي تدير مقبض الباب «نعم؟»

رد «عفوًا أخطأت» لم يكن هناك صوت، ولا قوس قزح...

لكنه نسي الأمرين حين نظر إلى أمه التي كانت تُكافح لفتح الباب الواسع.

وصاح مناديًا "انتظري، سأساعدك"، ثم هرول صاعدًا الدرج، حاملًا حقيبة سفره الكبيرة وكيسًا ورقيًا مُرهقًا مزدحمًا بالكنزات الصوفية.

٤

إلى أن التقى بسبيدي باركر، مرت أيام جاك داخل الفندق برتابة حتى فقد وعيه بالوقت وصار كسول ككلب نائم، بدت حياته كلها أشبه بالحلم، مليئة بالظلال والتحولات التي لا يمكن تفسيرها...

حتى الأخبار المروعة عن العم تومي التي وصلتهم عبر خطوط الهاتف في الليلة الماضية لم تفزعه تمامًا، رغم الصدمة.

لو علم جاك، لظنّ أن قوى أخرى سيطرت عليه وتلاعبت بحياة والدته وحياته. لكنه كان في الثانية عشرة من عمره مراهقًا يحتاج إلى أشياء ليفعلها، وقد أربكته أيامه الصامتة بسلبية بعد صخب مانهاتن، وببساطة أفسدته...

وجد جاك نفسه واقفًا على الشاطئ، لا يتذكر شيئًا عن ذهابه إلى هناك، ولا يعرف شيئًا عما يفعله هنا.

ظن أنه ينعى عمه تومي، لكن كان الأمر كما لو أن عقله قد غفا، تاركًا جسده يتدبر الأمر.

لم يعد يستطع التركيز طويلا بما يكفي لفهم حبكات المسلسلات الكوميدية التي كان يشاهدها هو وليلي ليلًا، ناهيك عن استيعاب تفاصيل الخيال.

قالت والدته وهي تسحب نفسًا من سيجارتها بعمق وتحدق

به عبر الدخان «أنت متعب من كل هذا التنقل، كل ما عليك فعله يا جاكو هو الاسترخاء قليلًا. هذا مكان جميل... لنستمتع به قدر استطاعتنا.»

وقف بوب نيوهارت، أمامهم ببشرته المائلة للحمرة على الشاشة، ينظر بدهشة إلى حذاء يمسكه بيده اليمنى.

"هذا ما أفعله يا جاكي." ابتسمت مرددة «أسترخي وأستمتع.»

ألقى نظرة خاطفة على ساعته.. لقد مرت ساعتان وهما جالسان أمام التلفزيون، لكنه لا يستطيع تذكر أي شيء مما سبق هذا البرنامج!

رنّ الهاتف حتى أيقظ جاك من نومه.. لقد وجدهم العم مورغان سلوت. لم تكن أخبار العم مورغان رائعةً قط، لكن يبدو أن هذا سيناريو رائعًا طبقًا لمقاييس العم مورغان...

وقف جاك في منتصف الغرفة، يراقب وجه والدته وهو يزداد شحوبًا. زحفت بيدها إلى حلقها الذي ازدادت تجاعيده في الأشهر القليلة الماضية، وضغطت برفق.

بالكاد نطقت بكلمة حتى همست في النهاية "شكرًا لك يا مورغان"، ثم أغلقت الهاتف. التفتت إلى جاك حينها، وقد بدا عليه الكبر والمرض أكثر من أي وقت مضى.

"يجب أن تكون قويًا الآن يا جاكي، حسنًا؟"

لم يشعر بأنه قوي.

أمسكت بيده حينها وأخبرته.

"قُتل العم تومي في حادث دهس وهروب بعد ظهر اليوم يا جاك." شهق، وشعر وكأن الريح قد أطاحت به.

"كان يعبر شارع لا سيينيغا وصدمته شاحنة. كان هناك شاهد عيان قال إنها سوداء، وأن عبارة "طفل البرية" مكتوبة على جانبها، لكن هذا... كل شيء." بدأت ليلي بالبكاء. أمام دهشة جاك الذي وبعد لحظات بدأ أيضًا في البكاء. كل ذلك حدث قبل ثلاثة أيام، مروا بجاك وكأنهم دهرًا...

٥

في الخامس عشر من سبتمبر عام 1981، وقف صبي يُدعى جاك سوير ينظر إلى الماء الهادئ على شاطئٍ غير مُميز أمام فندقٍ بدا كقلعةٍ في روايةٍ للسير والتر سكوت. أراد البكاء ولم يستطع أن كبت دموعه. كان مُحاطًا بالموت، الموت يُشكل نصف العالم، لم تكن هناك أقواس قزح. لقد حجبت شاحنة طفل البرية العم تومي عن العالم. العم تومي، ميتٌ في لوس أنجلوس، بعيدًا جدًا عن الساحل الشرقي، حيث كان حتى طفلٌ مثل جاك يدرك مدى انتمائه إليه. رجلٌ شعر أنه مُضطرّ لارتداء ربطة عنق قبل الخروج لشراء شطيرة لحم بقري مشوي في أربيز، لم يكن له أي عملٍ على الساحل الغربي على الإطلاق.

مات والده، مات عمه تومي، وربما تكون والدته تحتضر. شعر بالموت هنا أيضًا، على شاطئ أركاديا، حين هاتفه صوت يشبه صوت العم مورغان. لا يوجد أكثر ابتذالا أو كآبة من منتجعٍ سياحيٍّ في غير موسمه، حيث يتعثر المرء بأشباح صيفٍ مضى؛ بدت وكأنها احتلت نسيج الأشياء، حتى نسائم المحيط. خائف هو كما كان منذ زمان طويل... وجوده هنا، حيث الهدوء التام، ساعده فقط على إدراك ذلك... أن الموت ربما هو من قاد سيارته طوال الطريق السريع I-95 من نيويورك، محدقًا في دخان السجائر مطالبًا إياه أن يعثر على الموسيقى عبر أثير راديو السيارة.

كان يتذكر - بشكل غامض - والده وهو يخبره أنه وُلد برأسٍ عجوز، لكن رأسه لم يعد يشعر بالشيخوخة الآن...

في تلك اللحظة، شعر رأسه برعونة شديدة وخوف مردّدًا.. أنا خائفٌ جدًا.. فالمكان هنا حيث ينتهي العالم أليس كذلك؟

حلّقت النوارس قاطعة الهواء الرمادي فوق رأسه.. كان الصمت رماديًا كالهواء، قاتلًا كالهالات السوداء النامية تحت عينيها...

٦

حين جال في عالم المرح والتقى بليستر سبيدي باركر فقد الشعور بالأيام التي قضاها في الانجراف عبر الزمن، غادرته المشاعر السلبية المتربصة...

كان ليستر باركر رجلاً أسود بشعر رمادي متغضن وتجاعيد عريضة تشقّ وجنتيه. يبدوا عاديًا جدًا، على الرغم مما أنجزه في حياته السابقة كموسيقي بلوز متجول. ولم يتحدث عن شيئًا يُذكر. ومع ذلك، ما إن دخل جاك إلى صالة ألعاب عالم المرح بلا هدف.. والتقى بعيني سبيدي الشاحبتين حتى شعر بزوال كل الغموض وعاد لطبيعته، كما لو أن تيارًا سحريًا قد انتقل مباشرة من الرجل العجوز إليه.

ابتسم له سبيدي قائلاً «حسنًا، يبدو أنني وجدتُ رفقة ها هو الرجل المسافر الصغير قد وصل للتو.» صحيح، لم يكن ليلاحظه قبل لحظات، حيث بدا وكأنه ملفوف بصوف مبلل وحلوى غزل البنات، لكن ها هو الآن تحرر وبدا وكأن هالة فضية أحاطت بالرجل العجوز للحظة، هالة صغيرة من الضوء اختفت بمجرد أن رمش جاك. ولأول مرة، التفت جاك أن الرجل يمسك بمقبض مكنسة عريضة وثقيلة.

"هل أنت بخير يا بني؟" وضع العامل الماهر يده على أسفل ظهره، وتمطى بجسده إلى الخلف. «هل ازداد العالم سوءًا، أم تحسن؟»

رد جاك «يبدوا أنه تحسن».

"إذن، وكما أقول.. أنت في المكان الصحيح، ماذا ينادونك؟»

"الرجل المسافر الصغير"، كما قال له سبيدي حين رآه في يومه الأول، عجبًا! جاك المسافر ثم أسند جسده الطويل المحني على آلة سكي بول، وأحاط بذراعيه مقبض المكنسة كما لو كانت فتاة في حفل راقص، ثم قال الرجل الذي تراه هنا هو ليستر سبيدي باركر، كان في السابق رجلاً محلقًا بذاته، هه هه.. أوه نعم، كنت أعرف الطريق، بل كل الطرق... في الأيام الخوالي، كان لدي فرقة، تدعى ترافيلين جاك، تعزف موسيقى البلوز - موسيقى الجيتار بلوز – كما سجلت بعض الأسطوانات أيضًا، لكنني لن أخجلك بسؤالي عما إذا كنت قد سمعتها من قبل.. كان لكل مقطع لفظي إيقاعه الخاص، ولكل عبارة إيقاعها الخلفي؛

كان سبيدي باركر يحمل مكنسة بدلاً من الجيتار، لكنه لم يزل موسيقيًا...

في غضون الثواني الخمس الأولى من التحدث إلى سبيدي، عرف جاك أن والده المحب لموسيقى الجاز كان سيستمتع بصحبة هذا الرجل.

لقد رافق سبيدي في أفضل أجزاء أيامه الثلاثة أو الأربعة الماضية، راقبه وهو يعمل وساعده كلما استطاع، سمح له سبيدي بدق المسامير، وصنفرة سياج أو اثنين يحتاجان إلى

طلاء؛ كانت هذه المهام البسيطة التي يُنجزها بتوجيهات سبيدي هي التعليم الوحيد الذي يتلقاه، لكنها جعلته يشعر بتحسن...

رأى جاك الآن أيامه الأولى في شاطئ أركاديا كفترة من البؤس المستمر الذي أنقذه منه صديقه الجديد، كان سبيدي باركر صديقًا، وهذا أمر مؤكد - مؤكد جدًا، في الواقع، لدرجة أن فيه قدرًا من الغموض. في الأيام القليلة التي انقضت منذ أن تخلص جاك من ذهوله (أو منذ بدده سبيدي بنظرة واحدة من عينيه الشاحبتين)، أصبح سبيدي باركر أقرب إليه من أي صديق آخر، ربما باستثناء ريتشارد سلوت، الذي عرفه جاك تقريبًا منذ المهد. والآن، في مواجهة رعبه منذ فقد العم تومي وخوفه من أن والدته تحتضر بالفعل، انجذب لسبيدي الحنون الحكيم جارهم في نهاية الشارع. مرة أخرى انتاب جاك القلق وعاد شعوره القديم بأنه مُوَجَّه، ويتم التلاعب به كما لو أن سلكًا طويلًا غير مرئي سحبه هو وأمه إلى هذا المكان المهجور على شاطئ البحر...

أرادوه هنا، أيًا كانوا.

أم ربما هو درب من الجنون؟ تجلى في حلمه عن رجلًا عجوزًا منحنيًا، يبدو جليًا أنه فاقد للإدراك، يتمتم لنفسه وهو يدفع عربة تسوق فارغة على الرصيف.

نعق نورس في الهواء، وعزم جاك بأنه سيُجبر نفسه على التحدث عن بعض مشاعره مع سبيدي باركر. حتى لو ظن

سبيدي أنه مجنون؛ حتى لو ضحك عليه لا لن يضحك، علم جاك في قرارة نفسه أنهما صارا كصديقين قديمين وأنه يستطيع أن يخبر الحارس العجوز أي شيء تقريبًا.

لكنه لم يكن مستعدًا. كان الأمر جنونيًا للغاية، ولم يفهمه هو نفسه بعد.

أدار جاك ظهره لعالم المرح على مضض، وسار بصعوبة عبر الرمال نحو الفندق.

الفصل الثاني
انفراج القمع
١

مرّ يومٌ آخر، لكن جاك سوير لم يهدأ، خاصة حين راوده أحد أفظع الكوابيس على الإطلاق في الليلة الماضية. فيه، كان مخلوقٌ رهيبٌ قادمٌ نحو أمه وحشٌ قزمٌ بعينين في غير موضعهما وجلدٌ متعفنٌ كالجبن. «أمك على وشك الموت يا جاك، هل يمكنك أن تقول هللويا –تمجد الرب-؟» نَعَق هذا الوحش، وعرف جاك كما تُدرك الأشياء في الأحلام أنه مُشعّ، وأنه إذا لمسه، سيموت هو الآخر...

استيقظ بجسد غارق في العرق بعدما أوشك على الصراخ وقد تطلّب الأمر ارتطام الأمواج المستمر ليستعيد وعيه، ومرت ساعاتٌ قبل أن يتمكن من العودة إلى النوم.

كان ينوي إخبار والدته بالحلم هذا الصباح، لكن ليلي كانت عابسةً ومتوحدة، تختبئُ في غيمةٍ من دخان السجائر. لم تبتسم له إلا عندما خرج من مقهى الفندق لقضاء مهمة غير مخططة...

"فكّري فيما تريدين تناوله الليلة.»

"حسنًا؟"

" أي شيء عدا الوجبات السريعة. لم آتِ من لوس أنجلوس

إلى نيو هامبشاير لأسمّم نفسي بالنقانق."

رد جاك "لنجرب إذًا أحد مطاعم المأكولات البحرية في هامبتون بيتش،»

"حسنًا. هيا أذهب للعب."

"أذهب للعب!" فكّر جاك بمرارة على غير عادته.. أوه أجل يا أمي، أحسنتِ. رائع جدًا. أذهب للعب. مع من؟ أمي، لماذا أنتِ هنا؟ لماذا نحن هنا؟ ما مدى مرضكِ؟ لماذا ترفضين التحدث معي عن العم تومي؟ ماذا يفعل العم مورغان؟ ماذا.....

أسئلة، أسئلة كثيرة. بلا قيمة تُذكر، لأنه لم يكن هناك من يُجيب عنها...

عدا سبيدي!

كم هذا مُضحك؛ كيف يُمكن لرجل أسود عجوز قابله للتو أن يُحل أيًا من مشاكله؟

ومع ذلك، ظلت فكرة سبيدي باركر تتراقص في ذهنه بينما كان جاك يتجول عبر الممشى الخشبي وصولًا إلى شاطئ الخذلان الخالي...

٢

فكر جاك مجددًا.. هنا حيث ينتهي العالم، أليس كذلك؟!

حلّقت طيور النورس في السماء الرمادية فوق رأسه. كان التقويم يقول إن الصيف لا يزال قائمًا، لكن الصيف انتهى هنا على شاطئ أركاديا يوم عيد العمال. كان الصمت رماديًا كالهواء.

نظر إلى حذائه الرياضي فرأى عليه نوعًا من مادة القطران اللزجة.ظن أنها نفايات الشاطئ أو أي نوع من الملوثات. لم يكن لديه أي فكرة من أين التقطها، لذا تراجع بقلق عن حافة الماء.

طيور النورس في الهواء، تنقضّ وتبكي. نعق أحدها في السماء، فسمع صوت طقطقة مسطحة أشبه بمعدن. استدار في الوقت المناسب ليراه يهبط على صخرة متهدّلة. أدار النورس رأسه بحركات سريعة، شبه آلية، كما لو إنه يطمئن من أنه وحيد، ثم قفز إلى حيث كانت المحارة التي سقطت منه فوق رمال الشاطئ الناعمة المنبسطة. انفتحت المحارة كبيضة، ورأى جاك لحمًا نيئًا بداخلها، لا يزال يرتعش... أو ربما تخيل ذلك!

لا أريد أن أرى هذا.

ولكن قبل أن يتمكن من الالتفات، كان منقار النورس الأصفر المعقوف يسحب اللحم، ويمده كشريط مطاطي، وشعر

بمعدته تتقلص. ترددت صرخات النسيج المشدود بلا صوت داخل ذهنه، لحم غبي ينوح من شدة الألم.

حاول أن يشيح بعينيه بعيدًا عن النورس مرة أخرى لكنه لم يستطع. انفتح منقار النورس، مما أتاح له لمحة خاطفة للمريء الوردي القذر. عادت المحارة إلى صدفتها المتشققة، وللحظة نظر إليه النورس، محدقًا بعينيه السوداوين القاتلتين، ملوحًا بكل الحقائق المروعة.. فالآباء يموتون، الأمهات يموتون، الأعمام يموتون حتى لو ذهبوا إلى جامعة ييل وتجلت صلابتهم كموظفي البنوك في حللهم المكونة من ثلاث قطع في شارع سافيل رو. ويموت الأطفال أيضًا، ربما... وفي النهاية، قد لا يبقى سوى صراخ أحمق لأنسجة حية لا يشعر بها أحد.

"مهلاً" قالها جاك بصوت عالٍ، دون أن يدرك أنه لن يفعل شيئا سوى داخل عقله. "مهلاً، دعني أرتاح."

جلس النورس فوق صيده، ينظر إليه بعينيه السوداوين اللامعتين. ثم بدأ ينقر اللحم مرة أخرى. أتريد بعضًا يا جاك؟ لا يزال يرتعش! والله، إنه طازج لدرجة أنك بالكاد ستميز أنه ميت!

علق المنقار الأصفر القوي في اللحم مرة أخرى وسحبه. سترتششششش.. انقطع. ارتفع رأس النورس نحو سماء سبتمبر الرمادية، ثم دار في حلقه.

بدا وكأنه ينظر إليه مرة أخرى، كما تبدو العيون في بعض الصور وكأنها تنظر إليك أينما ذهبت داخل الغرفة. وتلك العينان... كان يعرفهما.

فجأة أراد أمه ذات العينين الزرقاوين الداكنتين. لم يستطع أن يتذكر أنه أرادها بهذا القدر من اليأس منذ أن كان صغيرًا جدًا.. لا-لا، سمعها تغني داخل رأسه، وصوتها يشبه صوت الريح، في تلك اللحظة، من مكان آخر قريبًا جدًا. أوه لا-لا، نم الآن يا جاكي، يا طفلي الصغير، بابا ذهب للصيد. وموسيقى الجاز. ذكريات مهزوزة محطمة، والدته تدخن سجائر هربرت تاريتون الواحدة تلو الأخرى، ربما تنظر إلى نص كُتب على صفحات زرقاء، كما كانت تسميها، تذكر ذلك: صفحات زرقاء. لا-لا، جاكي، كل شيء على ما يرام. أحبك يا جاكي. شششش... نم. لا-لا.

كان النورس ينظر إليه.

برعب مفاجئ غمر حلقه مثل الماء المالح الساخن، رآه ينظر إليه بتلك العيون السوداء (من؟) كانوا يراقبانه وقد عرف تلك النظرة...

خصلة لحم نيئة لا تزال تتدلى من منقار النورس. وبينما هو ينظر إليه، امتصها. ثم انفتح منقاره بابتسامة غريبة لا لبس فيها.

استدار وركض، منكس الرأس، وعيون مغمضة تنساب منها

دموع مالحة ساخنة، وحذاؤه الرياضي يحفر في الرمال، لو كان هناك طريق للصعود، ليعلوا، ويعلوا وصولًا لمستوى رؤية النورس لما رأى سوى الأثر، آثاره عبر ذلك اليوم الرمادي؛

جاك سوير، في الثانية عشرة من عمره وحيدًا، يركض عائدًا إلى النزل، سبيدي باركر منسي، صوته يكاد يضيع في الدموع والريح، يعلوا صوت بكائه نافيًا مرارًا وتكرارًا (لا، لا، لا.)

٣

توقف عند قمة الشاطئ، لاهثًا وسرت غرز ساخنة في جانبه الأيسر من منتصف ضلوعه إلى أعمق نقطة في إبطه... جلس بوهن على أحد المقاعد التي وضعتها المدينة لكبار السن، وأزاح شعره عن عينيه.

عليك أن تسيطر على نفسك. إذا انضم الرقيب فيوري إلى القسم الثامن، فمن سيقود فرقة كوماندوز العواء؟(1)

ابتسم، وشعر بتحسن طفيف. هنا، على بُعد خمسين قدمًا من الماء، بدت الأمور أفضل قليلًا.. ربما كان ذلك بسبب تغير الضغط الجوي، أو شيء من هذا القبيل.

ما حدث للعم تومي كان فظيعًا، لكنه افترض أنه سيتجاوزه، وسيتعلم تقبّله. هذا ما قالته والدته على أي حال. كان العم مورغان مزعجًا بشكل غير عادي مؤخرًا، والآن أدرك، أن العم مورغان دائمًا ما كان مزعجًا بشكل أو بآخر...

أما والدته...

حسنًا، كانت تلك هي المشكلة الكبرى، أليس كذلك؟

الحقيقة، فكّر، وهو جالس على المقعد يحفر في الرمال خلف الممشى الخشبي بإصبع قدم واحدة، أن والدته قد تكون بخير. بالفعل هي بخير؛ هذا ممكن بالتأكيد. ففي النهاية، لم يقل أحد صراحةً بأنه السرطان، أليس كذلك؟

بالطبع لا. فلو كانت مصابة بالسرطان، لما أحضرته إلى هنا، أليس كذلك؟ على الأرجح سيكونان في سويسرا، حيث تستحم والدته بمياه معدنية باردة وتتناول غدد الماعز، أو ما شابه. وكان بإمكانها فعل ذلك.

إذن ربما...

تسلل إلى وعيه صوت همس جاف وخافت. نظر إلى أسفل واتسعت عيناه. بدأت الرمال تتحرك عند مشط حذائه الرياضي الأيسر. كانت حبيبات الرمل البيضاء الناعمة تنزلق في دائرة صغيرة قطرها ربما في طول الإصبع. انهارت الرمال في منتصف الدائرة فجأة، فبدت كغمازة في الرمال. كان عمقها ربما بوصتين، كانت جوانب هذه الغمازة تتحرك أيضًا.. تدور وتدور، تتحرك في دوائر سريعة عكس اتجاه عقارب الساعة.

هذا ليس حقيقيًا، قالها لنفسه على الفور، لكن دقات قلبه بدأت تتسارع مرة أخرى. وأخذ صدره يعلوا ويهبط. ليس حقيقيًا، إنه أحد أحلام اليقظة، هذا كل شيء، أو ربما يكون سلطعونًا أو شيئًا من هذا القبيل...

لكنه لم يكن سلطعونًا ولم يكن أحد أحلام اليقظة ولم يكن المكان الآخر، الذي حلم به عندما كانت الأشياء مملة أو ربما مخيفة بعض الشيء، وبالتأكيد هو ليس سلطعون.

دارت الرمال بشكل أسرع، والصوت قاحل وجاف، مما جعله

يفكر في الكهرباء الساكنة، فالتجربة العلمية التي أجروها العام الماضي باستخدام جرة ليدن.

ولكن ما يحدث فاق التجربة، كان الصوت مثل شهيق جنوني طويل، يشبه إلى حد كبير النفس الأخير لرجل يحتضر.

انسابت المزيد من الرمال إلى الداخل وبدأت تدور. الآن لم تعد غمازة؛ صارت قمعًا منفرجًا في الرمال، نوعًا من شيطان الغبار العكسي.

انكشف تحت الرمال اللون الأصفر اللامع لغلاف العلكة، ثم غُطي، وكُشف، وغُطي، وكُشف مجددًا وفي كل مرة يظهر جزء أكبر حتى استطاع جاك قراءة المزيد منه مع اتساع القمع: عص، ثم عصا، ثم عصارة إلى أن أنفرج القمع تمامًا وانسحب الرمل بعيدًا عن غلاف العلكة بسرعة ووقاحة ككف عدواني سحب الأغطية لأسفل سرير مرتب! وقرأ عصارة الفاكهة، ثم رفرف الغلاف لأعلى.

تحول الرمل أسرع فأسرع، في غضب لهسهسة هههههاااااههههاااااههههه كان الصوت الذي أحدثته الرمال. حدق جاك فيها، مفتونًا في البداية، ثم مرعوبًا. كانت الرمال تنفتح مثل عين داكنة كبيرة.. كانت عين النورس الذي أسقط المحارة على الصخرة ثم سحب اللحم الحي منها مثل شريط مطاطي...

هههههها!!!!!!اههههههه، سخرت فوهة الرمل بصوتها الميت الجاف. لم يكن هذا صوتًا عقليًا. بغض النظر عن مدى تمني جاك أن يكون في رأسه فقط، كان هذا الصوت حقيقيًا. طارت أسنانه الاصطناعية يا جاك، عندما ضربته شاحنة الطفل البرى القديمة، خرجت، خشخشة! حتما لا يوجد خيار آخر، حين تأتي شاحنة الطفل البري القديم وتضرب أسنانك الاصطناعية يا جاكي، يجب أن ترحل أنت وأمك...

ركض جاك مرة أخرى، أعمى، لا ينظر إلى الوراء، شعره منفوش عن جبهته، عيناه واسعتان ومرعوبتان.

٤

سار جاك بأقصى سرعة ممكنة عبر ردهة الفندق المعتمة. كان أجواء المكان تمنعه من الركض.. فهو هادئ كمكتبة، والضوء الرمادي الذي تسلل عبر النوافذ الطويلة ذات الأعمدة طمس لون السجاد الباهت.

انطلق جاك يهرول وهو يمر من أمام مكتب الموظف النهاري ذو البشرة الشاحبة الذي خرج في تلك اللحظة من خلف مكتبه الخشبي المقوس، لم يقل شيئًا، لكن عبوسه الدائم جزّ زوايا فمه سنتيمترًا آخر إلى الأسفل. وكأنه ضبطه وهو يركض داخل كنيسة.

مسح جاك جبينه بكمه، وأجبر نفسه على السير بقية الطريق نحو المصاعد. ضغط على الزر، وشعر بعبوس موظف الاستقبال يُشعل بين كتفيه. المرة الوحيدة التي رأى فيها جاك موظف الاستقبال يبتسم هذا الأسبوع كانت عندما تعرف الرجل على والدته. لم تكن الابتسامة إلا مطابقة لأدنى معايير اللباقة. قالت لجاك حالما انفردا في غرفتيهما: «أعتقد أن هذا هو العمر الذي يجب أن تكون عليه لتتذكر ليلي كافانو». منذ زمان ليس ببعيد، كانت معروفة بسبب الخمسين فيلمًا التي أخرجتهم خلال الخمسينيات والستينيات (كانوا يلقبونها بـ«ملكة الأفلام الدرجة الثانية"؛ وأطلقت على نفسها "معشوقة سينما السيارات") سواء من سائق سيارة أجرة، أو نادل، أو بائعة بلوزات في ويلشاير بوليفارد ساكس وكان كل

هذا يُنعش مزاجها لساعات، لكن الآن حتى تلك المتع البسيطة قد تبخرت.

تمايل جاك أمام أبواب المصعد الثابتة، إذ سمع صوتًا غريبًا ومألوفًا ارتفع إليه من رمال دوارة.. وللحظة، رأى توماس وودباين، العم تومي وودباين ببنيته الصلبة ووجهه المريح، الذي كان من المفترض أن يكون أحد أوصيائه كجدارًا منيعًا ضد المتاعب والشتات منكمشًا وميتًا على شارع لا سيينيغا، وأسنانه مثل الفشار على بعد عشرين قدمًا في المزراب. ضغط الزر مرة أخرى.

أسرعوا!

ثم رأى شيئًا أسوأ والدته يجرها رجلان بلا اكتراث إلى سيارة تنتظرهم، وفجأة شعر جاك بحاجته إلى التبول فضغط بكفه على الزر، وسعل الموظف الرمادى المنحنى خلف المكتب تعبيرًا عن عدم رضائه. ضغط جاك بحافة يده الأخرى على ذلك المكان السحري أسفل معدته مباشرة مما خفف الضغط على مثانته. الآن يمكنه سماع أزيز المصعد البطيء الهابط. أغمض عينيه، وضغط ساقيه معًا.

بدت والدته غير متأكدة، تائهة ومشوشة، وأجبرها الرجال على دخول السيارة بسهولة كما لو كانت كلب كولي متعب. لكن هذا لم يحدث حقًا، كان يعلم؛

كانت ذكرى استحال جزءًا منها لحلم من أحلام اليقظة، وقد

حدثت له هو وليس لأمه.

بينما انزلقت أبواب المصعد المصنوعة من خشب الماهوجني لتكشف عن داخل مظلم التقى به وجهه في المرآة المتسخة والمتقشرة، التف حوله ذلك المشهد من عامه السابع مرة أخرى، ورأى عيني رجل تتحولان إلى اللون الأصفر، وشعر بيد الآخر تتحول إلى شيء يشبه مخلب قاسٍ وغير إنساني... قفز إلى المصعد كما لو أنه وُخز بشوكة.

مستحيل.. أحلام اليقظة غير حقيقية، هو لم يرَ عيني رجل تتحولان من الزرقة إلى الأصفر، ومازالت أمه بخير وجمال، لا يوجد ما يخيف، لا أحد يموت، والخطر فيما يعنيه النورس للصدفة. أغمض عينيه وصعد المصعد بصعوبة.

ضحك عليه ذلك الشيء في الرمال... انزلق جاك عبر الفتحة بمجرد أن بدأت أبواب المصعد في الانفتاح وركض متجاوزًا أفواه المصاعد الأخرى المغلقة، ثم انعطف يمينًا إلى الممر المغطى بالألواح، وركض متجاوزًا الشمعدانات واللوحات نحو غرفتيهما. هنا بدا الركض أقل انتهاكًا للمقدسات. كان لديهم غرفتان 407 و408، تتكونان من غرفتي نوم ومطبخ صغير وغرفة معيشة مطلة على الشاطئ الطويل الأملس واتساع المحيط. استولت والدته على الزهور من مكان ما، ورتبتها في مزهريات، ووضعت مجموعة صغيرة من صورهما المؤطرة بجانبها. جاك في الخامسة، وجاك في الحادية عشرة، وجاك رضيعًا بين ذراعي والده. والده، فيليب سوير، خلف عجلة

قيادة سيارة ديسوتو القديمة التي قادها هو ومورغان سلوت إلى كاليفورنيا في أيام لا يمكن تخليها حين كانا فقراء للغاية لدرجة أنهما كثيرًا ما ناما في السيارة.

عندما فتح جاك الغرفة 408، باب غرفة المعيشة، نادى، «أمي؟ أمي؟»

التقت به الزهور، وابتسمت الصور؛ لم يكن هناك جواب. «أمي!» أغلق الباب خلفه. شعر جاك ببرد في معدته. اندفع عبر غرفة المعيشة إلى غرفة النوم الكبيرة على اليمين. «أمي!» مزهرية أخرى من الزهور الطويلة الزاهية. بدا السرير الفارغ مُنشّى ومكويًا، جامدًا لدرجة أن ربع دولار قد يرتد عن اللحاف.

على طاولة السرير الجانبية وُضعت مجموعة متنوعة من الزجاجات البنية التي تحتوي على فيتامينات وحبوب أخرى. تراجع جاك. أظهرت نافذة والدته أمواجًا سوداء تتدحرج وتتدحرج نحوه.

رجلان يخرجان من سيارة عادية، عاديان، يمدان يدهما إليها...

صرخ جاك "أمي!".

"أسمعك يا جاك"، جاء صوت والدته من وراء باب الحمام.

"ما هذا بحق السماء...؟"

"آه،" قالها، وشعر باسترخاء عضلاته. «آه، آسف. لم أكن

أعرف أين أنتِ.»

ردت "أستحم.. وأستعد للعشاء. هل يمكنني؟» أدرك جاك أنه لم يعد بحاجة للذهاب إلى الحمام. جلس على أحد الكراسي المبطنة وأغمض عينيه بارتياح. ما زالت بخير...

"ما زالت بخير الآن،" همس صوت خافت، ورأى في ذهنه قمع الرمل ينفتح مجددًا، ويدور.

٥

على بُعد سبعة أو ثمانية أميال على طريق الساحل، خارج بلدة هامبتون مباشرةً، وجدوا مطعمًا يُدعى «قصر الكركند». روى جاك قصة يومه بشكل موجز للغاية هاربًا من الرعب الذي عاشه على الشاطئ، تاركًا إياه يتلاشى في ذاكرته. أرشدهم نادل يرتدي سترة حمراء مطبوعة عليها صورة صفراء لكركند على ظهرها إلى طاولة بجانب نافذة طويلة مُتماهية ألوانها.

"هل ترغب السيدة في مشروب؟" كان للنادل وجهٌ بارد كحجر خارج موسم نيو إنجلاند، ينظر إليهما متوجسًا في استياء من معطف جاك الرياضي من رالف لورين وفستان والدته المُهترئ من هالستون لبعد الظهيرة خلف عيونها الزرقاء الدامعة، ألف جاك رعب أثار بداخله حنين بسيط إلى الوطن.

أمي، إن لم تكوني مريضة حقًا، فماذا نفعل هنا بحق الجحيم؟ المكان فارغ! إنه مُخيف! يا إلهي!

قالت "أحضر لي كأس مارتيني"، رفع النادل حاجبيه. «سيدتي؟» قالت: «ثلج في كأس، زيتون على ثلج، جن تانكري على زيتون.. هل فهمتِ هذا؟»

يا أمي، بالله عليكِ، ألا ترين عينيه؟ تظنين أنكِ فاتنة ويظن هو أنكِ تسخرين منه! ألا ترين عينيه؟

لا. لم تستطع.. وقلة تعاطفها، وحدة طباعها المعتادة تجاه مشاعر الآخرين، كانا بمثابة حجرًا آخر على قلبه. كانت تلتهي... بشتى الطرق.

«أجل، سيدتي.»

ردت «خذ زجاجة من الفيرموث أي علامة تجارية وصبها في الكأس. ثم ضع الفيرموث على الرف وأحضره لي» «حسنًا؟»

«أجل، سيدتي.» عيناه الباردتان كعيون سكان نيو إنجلاند، تحدقان بوالدته دون محبة على الإطلاق.

نحن وحدنا هنا، فكّر جاك، وقد أدرك ذلك حقًا لأول مرة. يا إلهي، ألسنا كذلك؟

" سيدي الصغير؟"

رد جاك بشقاء «أريد كوكاكولا».

غادر النادل. بحثت ليلي في حقيبتها، وأخرجت علبة من سجائر هيربرت تاريتوونز (هكذا كانت تسميها منذ أن كان طفلاً، كما في «أحضر لي علبة تاريتوونز من هناك على الرف، جاكي»، وهكذا كان لا يزال يفكر فيها) وأشعلت واحدة ثم سعلت دخانًا حادًا على ثلاث دفعات.

كان ذلك طعنة أخرى في قلبه. قبل عامين، أقلعت والدته عن التدخين تمامًا. انتظر جاك أن تتراجع بتلك المقدرة الغريبة التي تُمثّل الوجه الآخر للسذاجة والبراءة الطفولية.

لطالما دخنت والدته؛ وستعود للتدخين قريبًا. لكنها لم تفعل... ليس إلا قبل ثلاثة أشهر، في نيويورك. كارلتون. كانت تتجول في غرفة المعيشة في شقتها في سنترال بارك ويست، تنفث سيجارتها كالمدخنة، أوأثناء جلوسها القرفصاء أمام خزانة الأسطوانات، تتصفح أسطوانات الروك القديمة أو أسطوانات الجاز القديمة لزوجها الراحل.

سألها: «هل تدخّنين مجددًا يا أمي؟».

قالت: «أجل، أدخن أوراق الملفوف".

ليتك لا تفعلين.

ردّت بحدة غير معهودة، والتفتت نحوه، وشفتاها مطبقتان بإحكام: «لماذا لا تشغّل التلفاز؟». «ربما تجد جيمي سواغارت أو القس آيك. انزل إلى ركن الهاليلويا مع أخوات آمين.»

تمتم قائلًا: «آسف».

حسنًا، لم تكن سوى أسطوانات كارلتون. أوراق الملفوف. لكن ها هي سجائر هربرت تاري تونز، العلبة الزرقاء والبيضاء القديمة الطراز، بقطع فم تشبه الفلاتر لكنها ليست كذلك. يتذكر، بشكل مبهم، أن والده أخبر أحدهم أنه يدخن سجائر وينستون وأن زوجته تدخن سجائر بلاك لنجر.

"هل لاحظت أي شيء غريب يا جاك؟" سألته الآن، وعيناها اللامعتان مثبتتان عليه، ممسكة بالسيجارة في وضعيتها القديمة الغريبة قليلاً بين إصبعي اليد اليمنى الثانية والثالثة.

تتحداه أن يقول شيئًا. تتحداه أن يقول "أمي، لاحظت أنك تدخنين سجائر هربرت تاري تونز مرة أخرى هل هذا يعني أنك تظنين أنه لم يتبق لديك ما تخسريه؟»

رد "لا"، واجتاحه ذلك الحنين البائس الحائر إلى الوطن مرة أخرى، وشعر برغبة في البكاء.. ثم أكمل «باستثناء هذا المكان. إنه غريب بعض الشيء.»

نظرت حولها وابتسمت. كان هناك نادلان آخران، أحدهما سمين والآخر نحيف، يرتديان سترتين أحمرين مزينين بجراد البحر الذهبي، يقفان عند أبواب المطبخ المتأرجحة، يتحدثان بهدوء. وحبل مخملي معلقًا عبر مدخل غرفة طعام ضخمة خلف الكوة حيث جلس جاك ووالدته. كانت الكراسي مقلوبة على شكل هرمي مدرج على الطاولات في هذا الكهف المظلم. في الطرف البعيد، رأى جدار نافذة ضخم يُطل على مشهد ساحلي قوطي جعل جاك يفكر في فيلم «حبيبة الموت»، وهو فيلم شاركت فيه والدته. لعبت دور شابة ثرية تزوجت من غريب وسيم وغامض ضد رغبة والديها. أخذها الغريب الوسيم إلى منزل كبير على المحيط وحاول إغواءها. كان فيلم «حبيبة الموت» نموذجًا شبه معتاد لمسيرتها الفنية فلقد لعبت دور البطولة في العديد من أفلام الأبيض والأسود التي تألق فيها ممثلون وسيمون لكن عاديون، يقودون سيارات فورد مكشوفة بقبعاتهم. كانت اللافتة المعلقة على الحبل المخملي الذي يسد مدخل ذلك الكهف المظلم مُقلدة بشكل

سخيف كُتب عليها هذا القسم مغلق.

قالت "المكان كئيب بعض الشيء، أليس كذلك؟"

"إنه مثل منطقة الشفق"، أجابها، فأطلقت ضحكتها القاسية، المُعدية، والجميلة نوعًا ما...

"أجل، جاكي، جاكي، جاكي"، قالت، وانحنت لتداعب شعره الطويل جدًا، مبتسمة.

دفع يدها بعيدًا، مبتسمًا هو الآخر (لكن يا إلهي، أصابعها كانت كالعظام، أليست كذلك؟ إنها على وشك الموت يا جاك...). «لا تلمسني...»

"ابتعدي عني أيها التاجر"

"جميلة جدًا كامرأة عجوز"

"يا ولد، حاول الحصول على أموال الفيلم مني هذا الأسبوع.»

"أجل."

ابتسما لبعضهما البعض، ولم يتذكر جاك يومًا احتاج فيه للبكاء هكذا، أو أدرك أنه يحبها كل هذا الحب. كان في قسوتها نوع من اليأس... ربما بسبب مرضها بداء الرئة السوداء.

وصلت مشروباتهم. أمالت كأسها نحوه. «نحن.»

"حسنًا." شربا ثم جاء النادل بقوائم الطعام.

"هل تجاوزت حدودي معه يا جاكي؟»

رد "ربما قليلاً".

فكرت في الأمر، ثم تجاهلته... "ماذا تتناول؟"

"سمك موسى، على ما أعتقد."

"اجعلهما اثنين.»

طلب لكليهما، وشعر بالحرج والإرتباك، لكنه كان يعلم أن هذا ما تريده رآه في عينيها عندما غادر النادل وعلم أنه لم يُخطئ... الكثير مما تفعله يشبه أفعال العم تومي. كما قال العم تومي بعد رحلة هارديز «أعتقد أن هناك أملاً لك يا جاك، إذا استطعنا فقط علاج هذا الهوس المقزز بالجبن الأصفر المُصنّع.»

وصل الطعام. التهم سمك موسى، الذي كان ساخناً بنكهة الليمون ولذيذاً. اكتفت ليلي باللعب بمشروبها، وتناولت بعض الفاصوليا الخضراء، ثم حركت الأشياء في طبقها.

أعلن جاك في منتصف الوجبة: «بدأت الدراسة هنا منذ أسبوعين»

رؤية الحافلات الصفراء الكبيرة المكتوب عليها «مدارس منطقة أركاديا» مما أشعره بالذنب، وظن أنه من السخف التغيب عن المدرسة.

نظرت إليه متسائلة ثم طلبت مشروبًا ثانيًا وأنهته؛ والآن

أحضر النادل مشروبًا ثالثًا.

هز جاك كتفيه. «فكرت فقط أن أذكر الأمر.»

"هل تريد الذهاب؟"

"هاه؟ لا! ليس هنا!"

"جيد،" قالت. "لأنني لا أملك أوراق تطعيمك اللعينة. لن يسمحوا لك بدخول المدرسة بدون شهادة نسب يا صديقي."

قال جاك: «لا تناديني بصديقي»، لكن ليلي لم تبتسم للنكتة القديمة.

يا إلهي، لماذا لستَ في المدرسة؟

رمش كما لو أن الصوت نطق بصوت عالٍ بدلًا من أن يكون في ذهنه فقط.

سألته "أتقول شيء ما؟».

"لا. حسنًا... هناك رجل في مدينة الملاهي. عالم المرح. بواب، حارس، شيء من هذا القبيل. رجل أسود عجوز. سألني لماذا لم أكن في المدرسة."

انحنت إلى الأمام، بلا أي حس فكاهة، وبدت عليها ملامح الكآبة بشكل مخيف. «ماذا أخبرته له؟»

هز جاك كتفيه. «قلتُ إنني أتعافى من التهاب الغدة النكافية. هل تتذكر تلك المرة التي أصيب فيها ريتشارد بها؟ أخبر الطبيب العم مورغان أن على ريتشارد البقاء خارج

المدرسة لمدة ستة أسابيع، لكنه يستطيع المشي في الخارج وكل شيء.» ابتسم جاك قليلاً. «ظننتُ أنه محظوظ.»

استرخَت ليلي قليلًا ثم قالت «لا أحب أن تتحدث مع الغرباء يا جاك."

أمي، "إنه مجرد..."

لا يهمني من هو "لا أريدك أن تتحدث مع الغرباء."

فكّر جاك في الرجل الأسود، بشعره الرمادي الأشعث، ووجهه الداكن المتجعد، وعيناه الشاحبتان الغريبتان وهو يدفع مكنسته في الرواق الكبير على الرصيف كان الرواق هو الجزء الوحيد من عالم أركاديا الترفيهي الذي ظل مفتوحًا طوال العام، لكنه ظل مهجورًا آنذاك باستثناء جاك والرجل الأسود ورجلين عجوزين في الخلف يلعبان سكي بول في صمت لا مبالٍ.

لكن ها هو الآن، جالسًا هنا في هذا المطعم المخيف مع والدته، لم يكن الرجل الأسود هو من سأل السؤال؛ بل هو نفسه...

"لماذا لستُ في المدرسة؟"

"كما قالت يا بني، ليس لديّ أوراق تطعيمك، ليس لديّ سجل عائلي. أتظن أنها أتت إلى هنا بشهادة ميلادك؟ هذا ما تظنه؟ هي هاربة يا بني، وأنت هارب معها. أنتَ..."

قاطعته والدته «هل سمعتَ من ريتشارد؟»، عندما قالتها،

تأثر... "لا"، صدمها صوته الرقيق ثم ارتعشت يداه وسقط كأسه عن الطاولة وتحطم على الأرض.

"كادت أن تموت يا جاك."

الصوت القادم من قمع الرمل الدوار. الصوت الذي سمعه في ذهنه.

كان صوت العم مورغان. لا ليس صوته ربما... لا هو ليس كأي صوت، لكنه كان صوتًا حقيقيًا. صوت والد ريتشارد.

٦

أثناء عودتها إلى النزل بالسيارة، سألته «ماذا حدث لك هناك يا جاك؟».

لا شيء. قلبي ضحك على لحن جين كروبا المضحك. ثم ابتكر شيئًا سريعًا أمام لوحة القيادة ليوضح: «ألقيث بسيارة شرطة، تمامًا كما في مسلسل المستشفى العام.»

"لا تسخر مني يا جاكي."

في ضوء لوحة القيادة، بدت شاحبة ومنهكة. ترتعش السيجارة بين إصبعي يدها اليمنى، كانت تقود ببطء شديد لم يتجاوز مؤشر السرعة الأربعين أبدًا كما كانت تقود دائمًا عندما تفرط في الشراب. كان مقعدها مشدودًا للأمام، وتنورتها مرفوعة لأعلى بحيث طفت ركبتاها، كطائر اللقلق، على جانبي عمود القيادة، وبدا ذقنها وكأنه يتدلى فوق عجلة القيادة. للحظة، بدت كالساحرة العجوز المخيفة، فأشاح جاك بنظره عنها بسرعة.

متمتمًا "لست كذلك،".

"ماذا؟"

«أنا لا أبالغ»، قال.. «كان الأمر أشبه بحركة مفاجئة، هذا كل شيء. أنا آسف.»

"لا بأس"، ردت.. "ظننت أن الأمر يتعلق بريتشارد سلوت."

"لا". تحدث إليّ والده من حفرة في الرمال على الشاطئ، كل شيء دار في رأسي، كما لو كنت في فيلم تُسمع فيه صوتًا، أخبرني أنك كدت تموت.

"هل تفتقده يا جاك؟"

"من ريتشارد؟"

"لا سبيرو أجنوا! بالطبع ريتشارد.»(2)

"أحيانًا." ريتشارد سلوت يذهب الآن إلى مدرسة في إلينوي إحدى تلك المدارس الخاصة حيث الصلاة إلزامية ولا أحد يعاني من حب الشباب.

فركت شعره قائلة "ستراه.".

"أمي، هل أنتِ بخير؟" انفجرت الكلمات منه. شعر بأصابعه تعضّ فخذيه.

"أجل،" ردت، وهي تشعل سيجارة أخرى (أبطأت سرعتها إلى عشرين؛ حتى مرت بجانبهم شاحنة بيك آب قديمة، وبوقها يُصدر صوتًا عاليًا). «لم أكن أفضل حالًا من ذلك أبدًا.»

"كم خسرت من الوزن؟"

"جاكي، لا يُمكنك أبدًا أن تكون نحيفًا جدًا أو غنيًا جدًا." توقفت قليلًا ثم ابتسمت له. كانت ابتسامة مُرهقة ومُجروحة، أخبرته بكل الحقيقة التي يحتاج لمعرفتها...

"أمي..."

"كفى،" ردت. "كل شيء على ما يُرام. صدقني. حاول أن تجد لنا بعض موسيقى البوب على محطة FM."

"لكن..."

"ابحث لنا عن بعض موسيقى البوب يا جاكي، واصمت."

وجد بعض موسيقى الجاز على محطة بوسطن، ساكسفون ألتو يشرح في أغنية «كل الأشياء التي تُمثله". ولكن تحتهما، كان هناك نقيض ثابت لا معنى له، وهو المحيط. ثم رأى هيكل الأفعوانية الضخم يشق السماء، وأجنحة نُزُل الحمراء المترامية الأطراف. لو كان له منزل، لكان هذا منزله...

الفصل الثالث

سبيدي باركر

١

وفي اليوم التالي عادت الشمس إلى سطوعها القوي، فتراكم ضوئها مثل الطلاء على الشاطئ المسطح وشريط السقف المائل المبلط باللون الأحمر، الذي كان جاك يراه من نافذة غرفته. بدى كموجةٌ منخفضة ممتدة بعيدًا في الماء وكأنها كتلة ضوئية صلبة تطلق أشعتها الساطعة مباشرةً نحو عينيه. شعر جاك أن ضوء الشمس هنا مختلفٌ عن ضوء كاليفورنيا. بدا له أرقّ وأبرد وأضعف بطريقةٍ ما.

ذابت الموجة في المحيط المظلم، ثم عادت للظهور، وقفز عليها خيطٌ ذهبيٌ لامعٌ قوي. أشاح جاك بوجهه عن نافذته، كان قد استحم وارتدى ملابسه، وأخبرته ساعة جسده أن الوقت قد حان للتحرك نحو موقف حافلة المدرسة كانت السابعة والربع صباحًا، لكنه بالطبع لن يذهب إلى المدرسة اليوم، لم يعد هناك شيءٌ طبيعي، وسيظل هو وأمه يتجولان كالأشباح خلال اثنتي عشرة ساعةً أخرى من النهار. لا جدول زمني، لا مسؤوليات، لا واجبات منزلية... لا نظام على الإطلاق باستثناء ما أوقات وجبات الطعام...

هل كان اليوم يومًا دراسيًا أصلًا؟ توقف جاك فجأةً بجانب سريره، شعر بوخزة ذعر من عالمه الذي صار بلا ملامح... لم

يظن أن هذا يوم سبت. حسب جاك أول يومٍ لهما وبوضوح استطاعت ذاكرته تحديده، لقد كان الأحد السابق. وبالعد للأمام، أدرك أنه يوم الخميس. اعتاد في أيام الخميس أن يحضر دروسًا في الحاسوب مع السيد بالغو، ويمارس الرياضة في الصباح الباكر. على الأقل كان هذا ما كان يفعله عندما كانت حياته طبيعية، وفي هذا الوقت يبدوا وكأنه فقد تلك الحياة بشكل لا رجعة فيه رغم إنها انتهت منذ أشهر فقط.

خرج من غرفة نومه إلى غرفة المعيشة. أزاح الستائر، فغمر الضوء الساطع الغرفة، فاستنار الأثاث. ثم ضغط على زر التلفزيون، وانزلق بجسده على الأريكة المتصلبة. لن تستيقظ والدته إلا بعد خمس عشرة دقيقة أخرى على الأقل وربما أكثر، نظرًا لأنها تناولت ثلاثة كؤوس مع العشاء الليلة الماضية.

نظر جاك نحو باب غرفة والدته، بعد مرور عشرين دقيقة، طرق بابها برفق. «أمي؟» أجابته بهمهمات ثقيلة. دفع جاك الباب قليلاً ونظر إلى الداخل. كانت ترفع رأسها عن الوسادة وتنظر إليه من خلال عينيها نصف المغمضتين.

"جاكي.. صباح الخير.. كم الوقت الآن؟»

"حوالي الثامنة."

"يا إلهي. هل أنت جائع؟" جلست وضغطت براحتي يديها

فوق عينيها.

"نوعًا ما.. لقد سئمت الجلوس هنا، كنت أتساءل فقط إن كنتِ ستستيقظين قريبًا.»

"لا، لو كان باستطاعتي لفعلت، هل تمانع؟ انزل إلى غرفة الطعام، تناول بعض الفطور ثم تمشى على الشاطئ، حسنًا؟ ستكون أمكِ أفضل بكثير اليوم إذا منحتِها ساعة أخرى في السرير.»

رد "بالتأكيد، حسنًا.. أراك لاحقًا.»

كان رأسها قد مال بالفعل إلى الوسادة، أطفأ جاك التلفاز وخرج من الغرفة بعد أن تأكد من أن المفتاح في جيب سرواله، كان المصعد يفوح برائحة الكافور والأمونيا فلقد أسقطت إحدى الخادمات زجاجة من عربتها، فُتحت الأبواب، فعقد موظف الاستقبال الشاحب حاجبيه وأدار له ظهره متجاهلاً. كونك طفلاً مدللاً لنجم سينمائي لا يجعلك مميزاً هنا يا بني... ولماذا لست في المدرسة؟

استدار جاك إلى المدخل المغطى بالألواح لغرفة تقديم الطعام في مطعم سرج الحمل ورأى صفوفاً من الطاولات الفارغة عبر الفضاء المظلم، ربما كانوا ست طاولات ونظرت إليه نادلة ترتدي بلوزة بيضاء وتنورة حمراء مكشكشة، ثم أشاحت بنظرها. وعلى الطرف الآخر من الغرفة جلس عجوزان منهكان على طاولة بشكل متقابل. لم يكن هناك

أحد آخر في صالة الفطور. وبينما يبحث جاك، انحنى الرجل العجوز فوق الطاولة على غفلة منه وقطع بيضة زوجته المقلية إلى قطع مربعة بحجم أربع بوصات.

"طاولة لشخص واحد؟" ظهرت بجواره المرأة المسؤولة عن مطعم «سرج الحمل» خلال النهار، وهي تلتقط قائمة طعام من كومة بجانب دفتر الحجوزات.

"غيرت رأيي، آسف." وهرب جاك.

يقع مقهى «ذا بيتشكومبر لاونج» التابع لفندق الحمراء على طول الردهة، وعبر الممر الطويل الكئيب والذي تصطف على جانبيه فاترينات العرض الفارغة. تلاشى جوعه بمجرد أن فكر في الجلوس بمفرده على المنضدة ومشاهدة الطباخ الممل وهو يُقرمش شرائح لحم الخنزير المقدد على الشواية.

سينتظر حتى تستيقظ والدته أو، الأفضل من ذلك، سيخرج ليرى إن كان بإمكانه شراء دونات وعلبة حليب صغيرة من أحد المتاجر في نهاية الشارع المفضي إلى المدينة.

دفع الباب الأمامي الطويل الثقيل للفندق وعبر لضوء الشمس.. للحظة، وخز السطوع المفاجئ عينيه صار العالم ساطع تمامًا.. حدق جاك، متمنيًا لو تذكر إحضار نظارته الشمسية أثناء نزوله، عبر ساحة الطوب الأحمر ونزل الدرجات الأربع المنحنية إلى الممر الرئيسي عبر الحدائق أمام الفندق.

ماذا سيحدث لو ماتت؟

ماذا سيحدث له؟ إلى أين سيذهب، من سيعتني به، لو حدث أسوأ شيء في العالم وماتت، للأبد، في تلك الغرفة؟

هز رأسه، محاولًا التخلص من ذلك الشعور الرهيب.

فكّر ملياً قبل أن يندفع ذعره الكامن عبر حدائق الحمراء المُرتبة ويُمزقه إرباً.

لن يبكي، لن يسمح بحدوث ذلك له ولن يسمح لنفسه بالتفكير في آل تاري تونز(3) والوزن الذي فقدته، والشعور الذي ينتابه أحياناً بأنها عاجزة جداً وتحيا بلا هدف. بات يخطو بسرعة كبيرة الآن، واضعًا يديه في جيوبه أثناء قفزه من الطريق المتعرج عبر الحدائق إلى مدخل الفندق.

هي تهرب يا بني، وأنت تهرب معها.. تهرب، ولكن من مَن؟ وإلى أين؟ هنا إلى هنا فقط، في هذا المنتجع المهجور؟

وصل إلى الشارع الواسع الممتد على طول الشاطئ نحو المدينة، والآن أصبحت كل المناظر الطبيعية الفارغة أمامه دوامة يمكن أن تجذبه إلى أعماقها وتقذفه إلى مكان مظلم ليس فيه سلام ولا أمان قط.

حلق نورس فوق الطريق الخالي، ثم انعطف في انحناءةً واسعة، وانحدر عائدًا نحو الشاطئ، راقبه جاك وهو يتقلص في الهواء، متحولًا إلى بقعة بيضاء فوق خط مسار الأفعوانية المتقطع.

ليستر سبيدي باركر، رجل أسود بشعر رمادي مجعد وخطوط داكنة تشق وجنتيه، كان هناك في مكان ما داخل عالم المرح، وكان عليه أن يرى سبيدي. كان ذلك واضحًا لجاك تمامًا كوضوح رؤيته المفاجئة لوالد صديقه ريتشارد.

نعق نورس، وارتدت موجة بضوء ذهبي قوي نحوه، ورأى جاك العم مورغان وصديقه الجديد سبيدي كشخصيتين متعارضتين مجازيًا، كما لو كانا تمثالين لليل والنهار، مثبتين على قواعد، القمر والشمس، الظلام والنور.. ما تبينه جاك بمجرد أن إدراكه أن والده كان سيُعجب بسبيدي باركر وأن عازف البلوز السابق لن يجد منه أي ضرر.. العم مورغان، الآن... صار كائنًا مختلفًا تمامًا. عاش العم مورغان من أجل العمل، من أجل عقد الصفقات والاحتيال؛ وكان طموحًا للغاية لدرجة أنه أعتبر كل قرار بمثابة تحدى ولو كان يخص مباراة تنس، بل وصل طموحه لحد الغش في ألعاب الورق ذات الرهانات الصغيرة التي كان ابنه يقنعه بين الحين والآخر بالانضمام إليها. على الأقل، اعتقد جاك أن العم مورغان كان يغش على الأقل بين كل مبارتين من ألعابهم... هو ليس رجلًا يتقبل هزائمه بلطف.

الليل والنهار، القمر والشمس؛ الظلام والنور، وكان الرجل الأسود هو النور بين تلك الأضداد.

وعندما انجرف عقل جاك إلى هذا الحد، اندفع نحوه بكل ذلك الذعر الذي قاومه في حدائق الفندق المرتبة، رفع قدميه

وركض...

٢

عندما رأى الصبي سبيدي راكعًا خارج مبنى الممرات الرمادي المتقشر يلفّ شريطا لاصقًا حول سلك كهربائي سميك، منحني نحو الرصيف بقبعته الصوفية، ومؤخرته النحيلة البارزة من خلفية سروال عمله الأخضر البالي، ونعل حذائه المتسخ كألواح التزلج المقلوبة، أدرك أنه لا يعلم ما كان ينوي قوله للحارس، أو حتى إن كان ينوي قول أي شيء على الإطلاق. أعاد سبيدي لف اللاصق الأسود مرة أخرى حول السلك، وأومأ برأسه، ثم أخرج سكين بالمر عتيقة من جيب قميصه وقطع الشريط من اللفة بدقة جراح محترف. كان جاك ليهرب من هنا أيضًا لو استطاع، ظل يتطفل على عمل الرجل، وفي جميع الأحوال، من الجنون الاعتقاد بأن سبيدي يستطيع مساعدته بأي شكل من الأشكال. أي نوع من المساعدة يستطيع أن يقدمها، عامل نظافة عجوز في مدينة ملاهٍ فارغة؟!

أدار سبيدي رأسه ولاحظ وجود الصبي فرحب به ترحيبًا حارًا ليس فقط بابتسامة بقدر ما قد تعمقت أخاديد وجهه الثقيلة وعرف جاك أنه على الأقل ليس متطفلاً.

قال سبيدي "جاك المسافر، بدأت أخاف أن تبتعد عني بعدما أصبحنا أصدقاء، سررت برؤيتك مرة أخرى يا بني.»

قال جاك: «حقًا، سررت برؤيتك أيضًا.»

أعاد سبيدي السكين المعدني إلى جيب قميصه ورفع جسده الطويل النحيل بسهولة ويسر، وبرشاقة، حتى بدا وكأنه بلا وزن ثم قال «هذا المكان كله ينهار من حولي. وأنا فقط أُصلاحه شيئًا فشيئًا، بما يكفي ليعمل كل شيء كما ينبغي" توقف في منتصف الجملة، بعد أن ألقى نظرة فاحصة على وجه جاك. «يبدو أن العالم القديم ليس على ما يرام الآن جاك المسافر مُثقلاً بحملٍ من الهموم. أليس كذلك؟"

"أجل، نوعاً ما،" بدأ جاك حديثه وما زال يجهل كيف يعبر عن الأُمور التي تُقلقه. لا يُمكن صياغتها في جملٍ عادية، لأن الجمل العادية تجعل كل شيء يبدو منطقياً. واحد... اثنان... ثلاثة، لم يعد عالم جاك يسير في تلك الخطوط المستقيمة، عجز عن قول كل ما كان يثقل صدره...

ثم نظر بشقاء إلى الرجل الطويل النحيل الذي أمامه، كانت يدا سبيدي مدسوستين عميقاً في جيوبه؛ وحاجباه الرماديان الكثيفان يدفعان نحو الثلم العمودي العميق بينهما. ارتفعت عينا سبيدي، اللتان كانتا فاتحتين لدرجة أنهما كانتا بلا لون تقريبًا، فوق الطلاء المتقرح للرصيف والتقتا بعيني جاك، وفجأة شعر جاك بتحسن مرة أخرى.. لم يفهم السبب، لكن سبيدي بدا قادرًا على إيصال مشاعره إليه مباشرةً كما لو أنهما لم يلتقيا قبل أسبوع فحسب، بل منذ سنوات، وما بينهما أكثر بكثير من بضع كلمات في رواق مهجور.

"حسنًا، يكفي عمل الآن،" قال سبيدي، وهو ينظر نحو قصر

الحمراء. "إذا فعلتَ المزيد، فسأفسد الأمر.. لا أظن أنك رأيت مكتبي من قبل، أليس كذلك؟»

هز جاك رأسه نافيًا

"حان وقت بعض الانتعاش يا فتى والآن هو الوقت المناسب."

انطلق عبر الرصيف بخطواته الطويلة، وجاك يتبعه. وبينما هم يهبطا درجات الرصيف ويشرعا في المرور عبر العشب الكثيف والتراب البني المتراكم نحو المباني في الجانب الآخر من الحديقة، أذهل سبيدي جاك حين بدأ الغناء..

"جاك المسافر، يا جاك المسافر،

لا يزال الطريق طويل أمامك،

طريق طويل للعودة.» لم يكن غناءً بالضبط، فكّر جاك، بل كان في منتصف الطريق بين الغناء والكلام. لولا الكلمات، لاستمتع بسماع صوت سبيدي الخشن الواثق.

طريق طويل طويل ليقطعه ذلك الفتى،

طريق طويل ليعود.

رمقه سبيدي بنظرة شبه لامعة من فوق كتفه.

فسأله جاك: «لماذا تُناديني بهذا الاسم؟ لماذا أنا جاك المسافر؟ لأنني من كاليفورنيا؟»

وصلوا إلى كشك التذاكر الأزرق الباهت عند مدخل ساحة

الأفعوانية، وأعاد سبيدي يديه إلى جيوب سرواله الأخضر الفضفاض، واستدار على كعبه، ثم أسند كتفيه على السياج الزرقاء الصغيرة. كانت سرعة حركاته وكفاءته مسرحية كما لو أنه، كما فكّر جاك، كان يعلم أن الفتى سيسأله ذلك السؤال تحديدًا في تلك اللحظة تحديدًا.

يقول إنه قادم من كاليفورنيا،

ألا يعلم أنه يجب أن يعود حالاً...

غنّى سبيدي، ووجهه المنحوت الثقيل يملؤه الانفعال الذي بدا لجاك منفرًا قليلًا.

لو أنه قطع كل هذه المسافة،

مسكين جاك المسافر، يجب أن يعود حالاً...

"ماذا؟" قال جاك. "أعود؟ أعتقد أن أمي باعت المنزل أو استأجرته أو شيء من هذا القبيل. لا أعرف ما الذي تحاول فعله بحق الجحيم يا سبيدي."

ارتاح عندما لم يُجبه سبيدي بصوته الإيقاعي المُنشد، بل قال بصوت طبيعي: «أراهن أنك لا تتذكر مقابلتي من قبل يا جاك. ألا تتذكر، حقا؟»

"قابلتك من قبل؟ أين كان هذا؟"

"تقريبًا في كاليفورنيا، أعتقد أننا التقينا هناك. على ما أذكر يا جاك المسافر."

كانت دقيقتين مزدحمتين جدًا. كنت يأفعل ماذا... دعني أرى... كنت سأفعل..

كان ذلك قبل حوالي أربع أو خمس سنوات. عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين.

نظر إليه جاك في حيرةٍ مُطلقة. عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين؟ كان في السابعة من عمره.

قال سبيدي "هيا بنا نبحث عن مكتبي الصغير"، ودفع نفسه من شباك التذاكر بنفس الخفة والرشاقة.

تبعه جاك، عبر تعرجات الدعامات العالية للأفعوانية ظلال سوداء كشبكات مخططات لعبة «إكس أو» مُغطاة بأرضٍ قاحلة مُغبرة مُرشوشة بعلب البيرة وأغلفة الحلوى. علقت مسارات الأفعوانية فوقها كناطحة سحاب غير مُكتملة. رأى جاك سبيدي يتحرك برشاقة لاعب كرة سلة، رأسه مرفوع وذراعاه مُتدليتان. بدت زاوية جسده، ووضعيته في العتمة المُتقاطعة أسفل الدعامات، يبدوا شابًا للغاية ربما كان سبيدي في العشرينات من عمره! وحين خرج الحارس من جديد إلى ضوء الشمس الحارق، وهبته خمسين عامًا إضافية فأصبح شعره رماديًا وشققت مؤخرة رقبته. توقف جاك فور وصوله للصف الأخير من الأعمدة، مُستشعرًا أن شباب سبييدي باركر الوهمي هو مفتاحهم، وأن أحلام اليقظة قريبة جدًا، وبالفعل تدور حوله.

ألف وتسعمائة وستة وسبعون؟ كاليفورنيا؟ توقف جاك عن الكلام خلف سبييدي، الذي كان متجهًا نحو كوخ خشبي صغير مطلي باللون الأحمر خلف السياج السلكي الأملس في الجانب البعيد من مدينة الملاهي. كان متأكدًا أنه لم يلتقِ سبييدي قط في كاليفورنيا... لكن الوجود شبه المرئي لخيالاته أعاد إليه ذكرى أخرى خاصة بتلك الأيام، رؤى وأحاسيس عصر متأخر من عامه السادس، جاكي يلعب بسيارة أجرة سوداء خلف أريكة مكتب والده... ووالده وعمه مورغان يتحدثان بشكل مدهش وساحر عن أحلام اليقظة. لديهم سحر كما لدينا فيزياء، أليس كذلك؟ ملكية زراعية، تستخدم السحر بدلًا من العلم. لكن هل يمكنك أن تفهم مدى النفوذ الذي سنتمتع به لو زودناهم بالكهرباء؟ لو زودنا الأشخاص المناسبين هناك بأسلحة حديثة؟ هل لديك أي فكرة؟

انتظر يا مورغان، لديّ الكثير من الأفكار التي يبدو أنها لم تخطر ببالك بعد.

كاد جاك أن يسمع صوت والده، وبدا عالم أحلام اليقظة الغريب والمقلق وكأنه يتحرك في الأرض القاحلة المظلمة أسفل الأفعوانية. بدأ يركض مجددًا خلف سبيدي، الذي فتح باب الكوخ الأحمر الصغير ووقف متكئًا عليه، بابتسامة مزيفة.

"هناك شيء يدور في ذهنك يا جاك المسافر. شيء ما يظنّ

هناك كالنحلة. اصعد إلى الجناح التنفيذي وأخبرني عنه."

لو كانت الابتسامة أوسع وأوضح، لربما استدار جاك وركض لكن شبح السخرية لا يزال يلوح في الأفق بشكل مهين بدا كيان سبيدي بأكمله وكأنه يعبر عن قلق ترحيبي كالرسالة التي تحملها كل تلك الخطوط العميقة في وجهه فمر جاك بجانبه عبر الباب.. كان «مكتب» سبيدي مستطيلاً صغيراً من ورق مقوى بنفس اللون الأحمر لسطحه الخارجي بدون مكتب أو هاتف. استند صندوقان برتقاليان مقلوبان على أحد الجدران الجانبية، يُحيطان بمدفأة كهربائية غير موصولة بالتيار الكهربائي تُشبه شبكة سيارة بونتياك من منتصف الخمسينيات. في منتصف الغرفة، كان هناك كرسي مدرسي خشبي ذو ظهر مستدير برفقة كرسي مُحشوّ من قماش رمادي باهت.

بدا أن أذرع الكرسي المُحشوّ قد فُتحت بمخالب أجيال عديدة من القطط خصلات قذرة من الحشو مُلقاة على الذراعين كالشعر؛ وعلى ظهر الكرسي المدرسي، خدوش من الحروف الأولى لبعض الكلمات، كان الفرش عبارة عن خردة. في إحدى الزوايا وقفت كومتان أنيقتان من الكتب الورقية بارتفاع قدم، وفي زاوية أخرى، غطاء مُربّع مُقلّد من جلد التمساح لمشغل أسطوانات رخيص. أومأ سبيدي برأسه نحو المدفأة وقال: "آتي إلى هنا في يناير، فبراير يا فتى، أترى لماذا أصاب بهذا البرد؟ برد؟ شوو.» لكن جاك كان ينظر الآن

إلى الصور الملصقة على الحائط فوق المدفأة والصناديق البرتقالية. جميع الصور، باستثناء واحدة، كانت صورًا عارية مقصوصة من مجلات رجالية. نساء بأثداء ضخمة كرؤوسهن، متكئات على أشجار غير مريحة، وأرجل عمودية ممتدة، متعبة. بالنسبة لجاك، بدت وجوههن آسرة وجشعة في آن واحد كما لو أن هؤلاء النساء سيقضمن جلده بعد تقبيله. بعض النساء لم يكن أصغر من أمه؛ بينما بدت أخريات أكبر منه ببضع سنوات فقط. لامست عينا جاك شتى أشكال الاحتياج الجسدي، شابًا وغير شاب، ورديًا أو بنيًا بلون الشوكولاتة أو أصفر عسلي، الذي بدا وكأنه يلح للمسته، وفي نفس الوقت كان واعيًا تمامًا لسبيدي باركر الواقف بجواره يراقبه. ثم رأى المنظر الطبيعي وسط الصور العارية، وللحظة ربما نسي أن يتنفس. كانت صورة فوتوغرافية أيضًا؛ وبدت وكأنها تمتد إليه، كما لو كانت ثلاثية الأبعاد. سهل عشبي طويل بلون أخضر زاهٍ، ينبسط نحو سلسلة جبال منخفضة. فوق السهل والجبال، امتدت سماء شفافة عميقة. كاد جاك أن يشم عبير هذا المنظر الطبيعي. كان يعرف ذلك المكان. لم يزره قط، ليس حقًا، لكنه كان يعرفه. كان ذلك أحد...

أماكن أحلام اليقظة.

"لافت للنظر، أليس كذلك؟» قال سبيدي، وتذكر جاك أين هو. امرأة أوراسية كانت تدير ظهرها للكاميرا، وأمالت ظهرها على شكل قلب وابتسمت له من فوق كتفها. نعم، قال جاك

المستغرق في تفكيره، فقال سبيدي: «مكان جميل حقًا. لقد صممته بنفسي. كل هؤلاء الفتيات قابلنني عندما انتقلت للعيش هنا. لم يكن لديّ الجرأة لنزعهن عن الحائط. إنهن يذكرنني نوعًا ما بأوقات مضت، أيام كنت على الطريق.»

نظر جاك إلى سبيدي، مذهولًا، ففمز له الرجل العجوز.

"هل تعرف هذا المكان يا سبيدي؟" سأله جاك. «أعني، هل تعرف أين هو؟»

"ربما، وربما لا. قد يكون في أفريقيا في مكان ما في كينيا. أو قد تكون هذه مجرد ذكرياتي. اجلس يا جاك المسافر. تفضل على الكرسي المريح.» أدار جاك الكرسي ليتمكن من رؤية صورة مكان «أحلام يقظته". "هل هذه أفريقيا؟"

"ربما يكون مكانًا أقرب بكثير. ربما يكون مكانًا يمكن لأي شخص الوصول إليه متى شاء، إن أراد رؤيته بشدة."

أدرك جاك فجأة أنه يرتجف، وقد كان كذلك لبعض الوقت. ضمّ يديه، وشعر بالارتعاش يتسلل إلى معدته.

لم يكن متأكدًا من رغبته في زيارة مكان «أحلام يقظته"، لكنه نظر بتساؤل إلى سبيدي، الذي كان جالسًا على كرسي المدرسة. "ليس في أي مكان في أفريقيا، أليس كذلك؟"

"حسنًا، لا أعرف. ربما. لقد أطلقت عليه اسمي الخاص يا بني. أسميه ببساطة "الأراضي".

عاد جاك ينظر إلى الصورة السهل الطويل ذو الأخاديد،

والجبال البنية المنخفضة. «الأراضي». هذا صحيح؛ هذا هو اسمها. لديهم سحرٌ كما لدينا فيزياء، أليس كذلك؟ مملكةٌ زراعية... أسلحةٌ حديثةٌ للرجال المناسبين هناك... العم مورغان يُدبّر المؤامرات. أجاب والده، محذرًا علينا أن نكون حذرين في طريقنا إلى هناك يا شريكي... تذكّر، نحن مدينون لهم، أعني أننا مدينون لهم حقًا...

"الأراضي"، قال لسبيدي، وهو يتذوق الاسم في فمه بقدر ما يسأل سؤالًا.

"هواءٌ كأفضل نبيذ في قبو رجلٍ ثري. مطرٌ خفيف. هذا هو المكان يا بني."

"هل كنت هناك يا سبيدي؟" سأل جاك، مُتوقّعًا بحماسٍ إجابةً مباشرة.

لكن سبيدي أحبطه، كما كان جاك يعلم تقريبًا أنه سيفعل. ابتسم له الحارس، وهذه المرة كانت ابتسامةً حقيقية، وليست مجرد دفءٍ خفيّ. بعد لحظة، قال سبيدي: «يا إلهي، لم أسافر خارج هذه الولايات المتحدة قط يا جاك المسافر. ولا حتى في الحرب. لم أزر تكساس وألاباما قط."

"كيف تعرف عن... الأراضي؟" وقد بدأ يعتاد على الاسم.

"رجل مثلي، يسمع كل أنواع القصص. قصص عن ببغاوات برأسين، رجال يطيرون بأجنحتهم، رجال يتحولون إلى ذئاب، قصص عن ملكات وملكات مريضات.»

... سحرٌ كسحر الفيزياء، أليس كذلك؟

ملائكة ومستذئبون. قال جاك: «لقد سمعت قصصًا عن المستذئبين. حتى أنهم يظهرون في الرسوم المتحركة. هذا لا يعني شيئًا يا سبيدي.»

"ربما لا يعني شيئًا. لكنني سمعت أنه إذا اقتلعت فجلة من الأرض، فسيتمكن رجل آخر على بُعد نصف ميل من شم رائحة تلك الفجلة إذا كان الهواء حلوً ونقيّ"

"لكن ملائكة..."

"رجال بأجنحة."

"وملكات مريضات،" قال جاك، قاصدًا إياها على سبيل المزاح يا رجل، هذا مكان غبي تخترعه يا فارس المكنسة. لكن في اللحظة التي نطق فيها بالكلمات، شعر هو الآخر بالغثيان. لقد تذكر عين نورس سوداء تُحدق به بفنائه وهو ينتزع محارة من صدفتها: واستطاع سماع العم مورغان وهو يسرع، ويسأل إن كان بإمكان جاك وضع الملكة ليلي على الطريق القويم.

ملكة الأفلام الدرجة الثانية. الملكة ليلي كافانو.

"أجل،" قال سبيدي بهدوء. "مشاكل في كل مكان يا بني. الملكة المريضة... ربما تموت. تموت يا بني. وعالم أو عالمان ينتظران هناك، ينتظران فقط ليريا إن كان بإمكان أحد إنقاذها.»

حدق به جاك فاغر الفم، وشعر تقريبًا كما لو أن الحارس قد ركله في معدته. إنقاذها؟ أنقاذ أمه؟ بدأ الذعر يحاصره من جديد كيف يمكنه أن ينقذها؟ وهل يعني كل هذا الكلام المجنون أنها تحتضر حقًا، هناك فى تلك الغرفة؟

قال له سبيدي: «لديك وظيفة يا جاك المسافر. وظيفة لن تسمح لك بالرحيل، وهذه حقيقة الرب. أتمنى لو كان الأمر مختلفًا."

قال جاك: «لا أعرف ما الذي تتحدث عنه». بدت أنفاسه محصورة في جيب صغير ساخن أسفل رقبته. نظر إلى زاوية أخرى من الغرفة الحمراء الصغيرة، فرأى في الظل غيتارًا مهترئًا مُسندًا على الحائط. وبجانبه كان هناك أنبوب أنيق لمرتبة رقيقة ملفوفة. كان سبيدي ينام بجانب غيتاره.

قال سبيدي: «أتساءل. عن أوقات حيث تدرك أكثر مما تظن أكثر بكثير جدًا أتفهم قصدي؟"

بدأ جاك حديثه قائلًا «لكنني لا.." ثم انتفض. لقد تذكر شيئًا ما. الآن ازداد خوفه اندفعت إليه قطعة أخرى من الماضي، تطلبت انتباهه. فجأةً، تصبب عرقًا، وشعر ببرودة شديدة تسري بجلده كما لو أنه رُشّ برذاذ خفيف من خرطوم

هذه الذكرى هي ما كافح لقمعها صباح أمس، وهو يقف أمام المصاعد، متظاهرًا بأن مثانته لن تنفجر.

سأل سبيدي، وهو ينحني ليدفع لوحًا أرضيًا مفكوكًا: «ألم

أقل إنه وقت الانتعاش؟»

رأى جاك مرة أخرى رجلين عاديي المظهر يحاولان دفع والدته إلى داخل سيارة. وفوقهما، غطت شجرة ضخمة سقف السيارة بأوراقها المسننة.

أخرج سبيدي زجاجة بيرة برفق من الفجوة بين ألواح الأرضية. كان لون زجاجها أخضر داكنًا، والسائل بداخلها بدا أسود. "سيساعدك هذا يا بني. قليل من التذوق يكفي لإرسالك إلى أماكن جديدة، ومساعدتك في البدء في استكشاف الوظيفة التي أخبرتك عنها.»

"لا أستطيع البقاء يا سبيدي،" صرخ جاك، وهو في عجلة من أمره للعودة إلى الحمراء، كبح الرجل العجوز الدهشة البادية على وجهه بوضوح، ثم أعاد الزجاجة تحت ألواح الأرضية المفكوكة. كان جاك قد نهض بالفعل. مرددا «أنا قلق.»

"على والدتكِ؟"

أوماً جاك بالايجاب، وهو يتراجع نحو الباب المفتوح.

"إذن، من الأفضل أن تهدأ وتذهب لتتأكد من أنها بخير."

يمكنك العودة إلى هنا في أي وقت يا جاك المسافر.

"حسنًا،" رد الصبي، ثم ركض خارجًا بارتباك وقال «أعتقد... أعتقد أنني أتذكر عندما التقينا من قبل.»

"لا، لا، لقد تداخلت أفكاري،» قالها سبيدي وهو يهز رأسه

ويحرك يديه أمامه ذهابًا وإيابًا. «لقد كنت محقًا. لم نلتقِ قبل الأسبوع الماضي. عد إلى والدتك واطمئن.»

ركض جاك خارجًا من الباب مهرولا عبر ضوء الشمس الخافت إلى القوس العريض المؤدي إلى الشارع. على القمة، رأى الحروف DLROWNUF AIDACRA مرسومة على صفحة السماء، في الليل، كانت المصابيح الملونة تهجئ اسم الحديقة في كلا الاتجاهين. تصاعد الغبار تحت حذائه الرياضي. ضغط جاك على عضلاته، ليتحرك بأقصى قوة وسرعة، حتى أنه بحلول الوقت الذي اندفع فيه عبر القوس، شعر وكأنه يطير تقريبًا.

1976 كان جاك يشق طريقه بصعوبة في شارع روديو درايف في ظهيرة أحد أيام يونيو؟ يوليو؟ ... في ظهيرة ما خلال موسم الجفاف، ولكن قبل ذلك الوقت من العام الذي بدأ فيه الجميع يقلقون بشأن حرائق الغابات في التلال.

هو الآن، لم يعد يذكر حتى إلى أين كان ذاهبًا. منزل صديق؟ لم تكن مهمة ملحة. تذكر جاك أنه وصل إلى مرحلة لم يعد يفكر فيها بأبيه في كل لحظة فراغ بعد عدة أشهر من وفاة فيليب سوير في حادث صيد، كان كظله، وفقدانه، تدفق لقلب جاك بسرعة خاطفة، حيث لم يكن الصبي مستعدًا لمواجهته، كان جاك في السابعة من عمره فقط، لكنه أدرك أن جزءًا من طفولته قد شرق منه، وبدا الآن عندما كان في السادسة من عمره ساذجًا وغير واعي، لكنه تعلم أن يثق في

قوة والدته. لم تعد التهديدات الوحشية عديمة الشكل تختبئ في الزوايا المظلمة، والخزائن ذات الأبواب نصف المفتوحة، والشوارع المظلمة، والغرف الفارغة. لقد قضت أحداث تلك الظهيرة الصيفية العشوائية عام ١٩٧٦ على هذا السلام المؤقت. بعد ذلك، نام جاك ونور غرفته مضاءً لمدة ستة أشهر، وقضّت عليه الكوابيس. توقفت السيارة على بُعد بضعة منازل من منزل عائلة سوير الأبيض ذي الثلاثة طوابق. كانت سيارة خضراء، وكل ما عرفه جاك عنها أنها ليست مرسيدس فمرسيدس هي النوع الوحيد من السيارات الذي يعرفه بالنظر.

أنزل السائق نافذته وابتسم لجاك. كانت أول فكرة خطرت ببال الصبي أنه يعرف هذا الرجل الذي كان يعرف فيل سوير، وأراد فقط أن يُلقي التحية على ابنه وبطريقة ما، عبّرت ابتسامة الرجل عن ذلك، كانت بسيطة وغير مُصطنعة ومألوفة. ثم انحنى رجل آخر إلى الأمام في مقعد الراكب وحدق في جاك من خلال نظاراته الداكنة المستديرة لدرجة أنها كادت أن تكون سوداء. كان الرجل الثاني يرتدي بدلة بيضاء نقية. ترك السائق ابتسامته تتحدث عنه للحظة. ثم قال: «يا بني، هل تعرف كيف نصل إلى فندق بيفرلي هيلز؟» إذًا، فهو غريب في النهاية. شعر جاك بوخزة خيبة أمل خفيفة.

وأشار مباشرة نحو الشارع. كان الفندق هناك تمامًا، قريبًا

بما يكفي ليتمكن والده من الذهاب سيرًا على الأقدام إلى اجتماعات الإفطار في الرواق.

سأل السائق وهو لا يزال مبتسمًا: «إلى الأمام؟».

أومأ جاك بالإيجاب.

قال له الرجل: «أنت فتى ذكي جدًا»، وضحك الرجل الآخر ضحكة مكتومة. هز جاك رأسه: «هل لديك أي فكرة عن مقدار المسافة؟». «ربما بضعة مبانٍ؟».

"أجل". بدأ يشعر بعدم الارتياح. كان السائق لا يزال مبتسمًا، لكن ابتسامته بدت الآن مشرقة وقاسية وفارغة. وكانت ضحكة الراكب كالأزيز الرطب، كما لو كان يمتص شيئًا مبللًا.

"خمسة، ربما؟ ستة؟ ماذا تقول؟" قال جاك وهو يتراجع للخلف "حوالي خمسة أو ستة بنايات، على ما أظن». قال السائق: «حسنًا، أود أن أشكرك يا صغيري. ألا تحب الحلوى؟» مدّ قبضة يده من النافذة، وحركها لأعلى، وفتح أصابعه حلوى توتسي رول. «إنها لك. خذها». تقدم جاك بتردد، وهو يسمع في ذهنه ألف تحذير يتعلق برجال غرباء وحلوى. لكن هذا الرجل كان لا يزال في سيارته؛ لو حاول أي شيء، فقد يكون جاك على بُعد نصف مبنى قبل أن يفتح الرجل باب سيارته. وبدا عدم أخذها خرقًا للأدب. تقدم جاك خطوة أخرى. نظر إلى عيون الرجل، التي كانت زرقاء ومشرقة وقاسية مثل ابتسامته، حدسه دفعه إلى خفض يده والابتعاد.

ترك يده تقترب من حلوى توتسي رول ببوصة أو اثنتين. ثم نقرها بأصابعه نقرة خفيفةً.

فقبضت يد السائق على يد جاك، فانفجر الراكب ذو النظارات المكفوفة ضاحكًا. حدق جاك، مندهشًا، في عيني الرجل الذي يمسك بيده، ورأى عينيه تتغيران، ظنّ أنه رآهما تتبدلان من الأزرق إلى الأصفر.

لكنهما لاحقًا استحالتا للأصفر.

فتح الرجل الجالس في المقعد الآخر باب سيارته وركض حول مؤخرة السيارة. كان يرتدي صليبًا ذهبيًا صغيرًا في طية صدر سترته الحريرية. ابتعد جاك بجنون، لكن السائق ابتسم ابتسامةً مشرقةً وخاويةً، وأمسك به بقوة. «لا!» صرخ جاك. «النجدة!». فتح الرجل ذو النظارات الشمسية الباب الخلفي من جهة جاك. صرخ جاك: «ساعدوني!». بدأ الرجل الذي يمسكه يضغط عليه ليدخل عبر الباب المفتوح. قفز جاك وهو لا يزال يصرخ، لكن الرجل شد قبضته دون عناء. ضرب جاك يديه، ثم حاول دفعهما عنه. أدرك جاك برعب أن ما شعر به تحت أصابعه لم يكن جلدًا. أدار رأسه فرأى شيئًا صلبًا ضاغطًا كالمخلب أو مخلب مفصلي مثبتًا على جانبه ويبرز من الكم الأسود. صرخ جاك مجددًا.

من أعلى الشارع، جاء صوتٌ عالٍ «يا إلهي، توقف عن العبث مع الصبي! أنت! دع هذا الصبي وشأنه!». شهق جاك بارتياح، والتوى بأقصى ما يستطيع بين ذراعي الرجل. وركض نحوهم

من نهاية الشارع رجل أسود طويل ونحيف، لا يزال يصرخ. ألقى الرجل بجاك على الرصيف وانطلق نحو الجزء الخلفي من السيارة. انفتح الباب الأمامي لأحد المنازل خلف جاك بقوة، فسمع شاهدًا آخر. قال السائق وهو يضغط على دواسة الوقود: «تحرك، تحرك» فقفز الرجل ذو البدلة البيضاء إلى مقعد الراكب، ودارت السيارة بعجلاتها واطلقت صريرًا قطريًا عبر شارع روديو درايف، وكادت أن تصطدم بسيارة كلينيت بيضاء طويلة يقودها رجل أسمر البشرة يرتدي زيًا رياضيًا. فدوّى بوق السيارة الكلينيت.

نهض جاك من فوق الرصيف كان يشعر بالدوار بينما ظهر بجانبه رجل أصلع يرتدي بدلة سفاري سمراء وقال «من هؤلاء؟ هل علمت أسماءهم؟» هز جاك رأسه نافيًا.. «كيف حالك الآن؟ يجب إبلاغ الشرطة.» رد جاك: «أريد الجلوس»، فتراجع الرجل خطوة وسأل جاك «هل تريدني أن أتصل بالشرطة؟» فهز جاك رأسه نافيًا. قال الرجل: "شيء لا يصدق.. هل تسكن هنا؟ لقد رأيتك من قبل، أليس كذلك؟»

"أنا جاك سوير. منزلي هناك."

قال الرجل وهو يومئ برأسه "البيت الأبيض. أنت ابن ليلي كافانو. سأوصلك إلى المنزل إن شئت."

سأله جاك «أين الرجل الآخر؟ الرجل الأسود الذي كان يصرخ.» وابتعد خطوةً مترددةً عن الرجل الذي يرتدي زي السفاري، كان الشارع خاليًا إلا منهما.

كان ليستر سبيدي باركر هو الرجل الذي يركض نحوه، أدرك جاك أن سبيدي أنقذ حياته آنذاك، فركض بأقصى سرعة نحو الفندق.

٣

سألته والدته، وهي تنفث سحابة دخانية عبر فمها: «هل تناولتَ فطورًا؟».

كانت تلف وشاحًا على شعرها كالعمامة، وبإخفاء شعرها بتلك الطريقة، برز نحول وجهها وهشاشته أمام جاك.

تحرك بين بين إصبعيها الثاني والثالث سيجارة مشتعلة بطول نصف بوصة، وعندما رأته يدقق النظر إليها، أطفأتها في منفضة السجائر على طاولة الزينة.

آه، لا، ليس تمامًا، قال وهو يقف عند باب غرفة نومها.

ردت وهي تستدير إلى المرآة «أعطني إجابة واضحة بنعم أو لا. الغموض يقتلني». بدا معصم ليلى ويدها التي تضع المكياج على وجهها في المرآة نحيفان كالعصا.

رد «لا».

"حسنًا، انتظر لحظة وعندما تنتهي والدتك من تزيين نفسها ستأخذك إلى الطابق السفلي وتشتري لك كل ما يشتهيه قلبك.»

حسنًا، قال "بدا الأمر مُحبطًا للغاية، أن أكون هناك بمفردي."

أقسم أن ما يحزنك حقًا هو... انحنت إلى الأمام ونظرت إلى وجهها في المرآة.

"لا أظن أنكِ ستمانع الانتظار في غرفة المعيشة يا جاكي؟

أفضل أن أفعل هذا وحدي. أسرار قبلية."

استدار جاك بصمت وعاد إلى غرفة المعيشة، عندما رنّ الهاتف، قفز مسافة قدم تقريبًا.

صاح «هل يجب أن أتلقى تلك المكالمة؟»

ردت بهدوء «شكرًا لك»

رفع جاك السماعة وقال مرحبًا.

رد العم مورغان سلوت من الطرف الآخر "يا صغيري، أخيرًا وجدتك".. «ما الذي يدور في رأس أمك؟ يا إلهي، قد نواجه مشكلة حقيقية هنا إذا لم ينتبه أحد للتفاصيل. هل هي هنا؟ قل لها إنها يجب أن تتحدث معي.. لا يهمني ما تقوله، عليها أن تتحدث معي. ثق بي يا صغيري."

ترك جاك الهاتف يتدلى في يده. أراد أن يغلق الخط، وأن يركب السيارة مع والدته ويقودا إلى فندق آخر في ولاية أخرى.. لكنه لم يغلقها، نادى «أمي، العم مورغان على الهاتف، يقول إن عليكِ التحدث معه».

صمتت للحظة، وتمنى لو رأى وجهها.. أخيرًا قالت "حسنًا دع الأمر لي يا جاكي".

كان جاك يعلم ما سيفعله.. أغلقت والدته باب غرفة نومها برفق؛ فسمعها تعود إلى طاولة الزينة. رفعت سماعة الهاتف في غرفتها ثم نادت من خلف الباب "حسنًا يا جاكي".

ردّ عليها «حسنًا».. ثم أعاد الهاتف إلى أذنه وغطى السماعة بيده حتى لا يسمع أحد أنفاسه.

قال العم مورغان "حيلة مدهشة يا ليلي.. رائعة. لو كنتِ لا تزالين على الساحة، لربما استفدنا قليلًا من اختفائك. بالتساؤل «لماذا اختفت هذه الممثلة؟»، لكن ألا تعتقدين أن الوقت قد حان لتعودي إلى التصرف بعقلانية؟»

سألته "كيف وجدتني؟".

"أتظنين أن العثور عليكِ صعب؟ امنحيني فرصة يا ليلي، أريدكِ أن تعودي إلى نيويورك.. حان الوقت لتتوقفي عن الهرب.»

"هل هذا ما أفعله يا مورغان؟"

"ليس لديكِ كل الوقت في العالم يا ليلي، وليس لديّ ما يكفي من الوقت لأضيعه في مطاردتكِ في جميع أنحاء نيو إنجلاند.. مهلاً، انتظري. ابنكِ لم يُغلق هاتفه أبدًا.»

"بالتأكيد فعل."

توقف قلب جاك لثوانٍ. قال له مورغان سلوت «انصرف يا فتى».

فردت والدته «لا تكن سخيفًا يا سلوت».

"سأخبرك بما هو سخيف يا سيدتي. أن تختبئي في منتجع سيء بينما يجب أن تكوني في المستشفى، فهذا سخيف.

يا إلهي، ألا تعلمين أن لدينا حوالي مليون قرار تجاري علينا اتخاذه؟ أنا أيضًا أهتم بتعليم ابنك، ومن حسن الحظ أنني كذلك. يبدو أنك قد تخليت عن ذلك».

قالت ليلي «لا أريد التحدث إليكِ بعد الآن».

"أنتِ لا تريدين ذلك، ولكن عليكِ ذلك. سآتي إليكما ولو اضطررت سأضعكِ في المستشفى بالقوة. علينا أن نرتب أمورنا يا ليلي. أنتِ تملكين نصف الشركة التي أحاول إدارتها، وجاك يحصل على نصفكِ بعد رحيلكِ. أريد التأكد من أن جاك في أمان». وإن كنت تظنين أن رعاية جاك هو ما تفعلينه عندك في نيو هامبشاير اللعينة، فأنت أكثر مرضًا مما تتصوري.

سألته ليلى بصوت متعب "ماذا تريد يا سلوت؟".

"أنتِ تعرفين ما أريده، أريد أن يحظى الجميع بالرعاية. أريد ما هو عادل. سأعتني بجاك يا ليلي. سأعطيه خمسين ألف دولار سنويًا، فكّري في ذلك يا ليلي. سأحرص على التحاقه بجامعة جيدة. لا يمكنكِ حتى إبقاءه في المدرسة."

ردت والدته "يا سلوت النبيل".

"هل تعتقدين أن هذا هو الحل؟ ليلي، أنتِ بحاجة إلى المساعدة وأنا الوحيد الذي يمكنه تقديم المساعدة.»

سألته والدته "ما هي حصتك يا سلوت؟».

"أنتِ تعرفين جيدًا.. أفهم ما هو عادل. أفهم ما يستحقه

اهتمامي بسوير وسلوت، لقد بذلتُ جهدًا كبيرًا في تلك الشركة، وكان ينبغي أن تكون ملكي. يمكننا إنهاء الأوراق في صباح أحد الأيام يا ليلي، ثم نركز على رعايتك.»

ردت "كما تم الاعتناء بتومي وودباين، أحيانًا أظن أنكما أنتَ وفيل كنتما ناجحين للغاية يا مورغان.. كانت شراكة سوير وسلوت أسهل قبل أن تتجها نحو الاستثمارات العقارية وعقود الإنتاج. أتذكر حينما كان لديكِ فقط بضعة كوميديانات فاشلين وستة ممثلين وكتاب سيناريو واعدين كعملاء؟ الحياة كانت أفضل قبل الأموال الطائلة."

"أسهل، من تخدعين؟» صرخ العم مورغان.. «لا يمكنكِ حتى إدارة نفسكِ!»

ثم حاول تمالك نفسه.. «وسأنسى أنكِ ذكرتِ توم وودباين. كان ذلك أقل من مستواكِ يا ليلي.»

"سأغلق الخط الآن يا سلوت. ابتعد عن هنا. وابتعد عن جاك."

"ستذهبين إلى المستشفى يا ليلي، وهذا الركض هنا وهناك سيُسبب لكِ..." أغلقت والدته الخط في منتصف جملة العم مورغان؛

وضع جاك سماعة الهاتف برفق. ثم اقترب خطوتين من النافذة، كأنه لم يكن بالقرب من هاتف غرفة المعيشة ولم يصدر من غرفة النوم المغلقة سوى الصمت.

نادى «أمي»

"أجل يا جاكي؟" سمع اهتزازًا خفيفًا في صوتها.

"هل أنتِ بخير؟ هل كل شيء على ما يرام؟"

"أنا؟ بالتأكيد." اقتربت بخطوات وئيدة من الباب، الذي انفتح فجأة. التقت زرقة عيناهما، وفتحت ليلى الباب على آخره.. التقت عيناهما مجددًا، للحظات غير مريحة...

"بالطبع كل شيء على ما يرام. لماذا لا يكون كذلك؟" انفصلت عيناهما.

لقد تبادلا معلومات من نوع ما، ولكن ماذا؟ تساءل جاك إن كانت تعلم أنه استمع إلى حديثها؛ ثم فكر أن المعلومات التي تبادلاها للتو كانت ولأول مرة حقيقة مرضها.

"حسنًا،" قال، وقد انتابه الحرج الآن. تفاقم مرض والدته، ذلك الموضوع الشائك، بينهما بشكل كبير. "لا أعرف بالضبط. بدا العم مورغان..." هز كتفيه. ارتجفت ليلي، وعرف جاك شيئًا آخر.. كانت والدته خائفة.. بقدر خوفه على الأقل.

وضعت سيجارة في فمها وفتحت ولاعتها. طعنته بنظرة أخرى من عينيها العميقتين. «لا تُعرِ هذا الآفة أي اهتمام يا جاك. أنا منزعجة فقط لأنه لا يبدو أنني سأتمكن من الابتعاد عنه أبدًا. عمك مورغان يُحب أن يُضايقني.»

زفرت دخانًا رماديًا. «أخشى أنني لم أعد راغبة في تناول الفطور. لم لا تنزل بنفسك إلى الطابق السفلي وتتناول فطورًا

حقيقيًا هذه المرة؟»

قال لها «تعالي معي»

"أود أن أكون وحدي قليلاً يا جاك. حاول أن تتفهم ذلك."

حاول أن تتفهم ذلك.

ثق بي.

هذه الأشياء التي يقولها الكبار، تعني شيئًا مختلفًا تمامًا.

"سأكون أكثر لطفًا عندما تعود،" قالت.. «هذا وعد.»

وما كانت تقوله حقًا هو «أريد أن أصرخ، لا أستطيع تحمل المزيد من هذا، اخرج، اخرج!»

"هل أحضر لك شيئًا؟"

هزت رأسها، مبتسمةً له ابتسامةً قاسية، فاضطر لمغادرة الغرفة، مع أنه لم يعد لديه أي رغبة في تناول الفطور أيضًا. تجول جاك في الممر إلى المصاعد.

مرة أخرى، لم يكن هناك سوى مكان واحد للذهاب إليه، لكن هذه المرة علم ذلك قبل أن يصل إلى الردهة الكئيبة وموظف الاستقبال المنتقد الشاحب.

٤

لم يكن سبييدي باركر موجودًا في كوخ المكتب الصغير المطلي باللون الأحمر؛

لم يكن خارجًا على الرصيف الطويل، في الممر حيث كان العجوزان المتصابيان يلعبان سكي بول كما لو كانت حربًا يعلم كلاهما أنهما سيخسرانها؛

لم يكن في الفراغ المغبر أسفل الأفعوانية.. دار جاك سوير بلا هدف تحت ضوء الشمس القاسي، ناظرًا إلى الشوارع الفارغة والأماكن العامة المهجورة في الحديقة. اشتد خوف جاك.. ظنًا أن شيئًا ما قد حدث لسبيدي؟ لا مستحيل، لكن ماذا لو علم العم مورغان بأمر سبيدي (علام سيعثر على أية حال؟) و... رأى جاك في ذهنه شاحنة وايلد تشايلد تنحرف حول الزاوية، وتطحن تروسها وتزداد سرعتها. تحرك بسرعة، وهو بالكاد يعرف الاتجاه الذي ينوي الذهاب إليه وأثناء غمرة ذهوله وفزعه، رأى العم مورغان يركض متجاوزًا صفًا من المرايا المدمرة، التي حوّلته إلى سلسلة من الأشكال الوحشية المشوهة.. فأنبتت قرون على جبينه الأصلع، وأظهرت سنام من بين كتفيه الممتلئين، وحولت أصابعه العريضة إلى مجارف. انحرف جاك فجأة يمينًا، فوجد نفسه يتجه نحو مبنى غريب الشكل، شبه دائري، من ألواح بيضاء شبيهة بالشرائح.

من داخله، سمع فجأة صوت طرق إيقاعي. ركض الصبي نحو الصوت مفتاح ربط يضرب أنبوبًا، مطرقة تضرب سندانًا، ضجيج عمل. في وسط الشرائح، وجد مقبض باب، فسحب الباب الهش ذو الشرائح.

تقدم جاك عبر الظلام المخطط، وازداد الصوت علوًا. غيّر الظلام الأشكال من حوله، وتغيرت أبعادها. مدّ يديه ولمس القماش فانزلق جانبًا؛

وفي لحظة، وقع عليه ضوء أصفر متوهج، ونادى صوت سبيدي "جاك المسافر". استدار جاك نحو الصوت فرأى الحارس جالسًا على الأرض بجانب دوامة خيل مفككة جزئيًا. كان يحمل مفتاح ربط في يده، وأمامه حصان أبيض بعرفٍ رغوي، مغروسٌ في وتد فضي طويل من مقبضه إلى بطنه.

وضع سبيدي المفتاح برفق على الأرض. وسأله «هل أنت مستعد للتحدث الآن يا بني؟»

الفصل الرابع
عودة جاك
١

قال جاك بصوت هادئ «أجل، أنا مستعد الآن»، ثم انفجر في البكاء...

قال سبيدي، وهو يُسقط مفتاح الربط ويقترب منه "تحدث يا جاك المسافر. تحدث يا بني، هون عليك، هون عليك الآن...».

لكن جاك لم يستطع أن يهدأ. فجأةً، فاق الأمر طاقته، واستيعابه، وصار يبكي أو يغرق في ظلمته العاتية.. ظلمة لا يمكن لأي بريق ذهبي أن ينيرها، كانت الدموع مؤلمة، لكنه شعر أن الرعب سيقتله إن لم يصرخ بها.

قال سبيدي «ابك يا جاك المسافر"، وحاوطه بذراعيه. وضع جاك وجهه الساخن المحتقن على قميص سبيدي الرقيق، وتنسم رائحة الرجل، كانت رائحته تشبه رائحة منتجات العناية الرجالية من أولد سبايس، أو رائحة القرفة، أو رائحة كتب لم يخرجها أحد من المكتبة منذ زمن طويل... كانت رائحة زكية ومريحة...

أحاط سبيدي بذراعيه؛ ولمس براحتيه عظام ظهر سبيدي القريبة من السطح، بالكاد يغطيها لحم خفيف. قال سبيدي

وهو يهزه «ابكي إن أراحك ذلك مرة أخرى. أحيانًا يحدث ذلك. أعرف. سبيدي يعرف كم مضيت يا جاك المسافر، وكم قطعت من الطريق، وكم تعبت. لذا ابكي إن أراحك ذلك.»

بالكاد فهم جاك كلماته لكن وقعها كان مهدئ ومطمئن له...

وأخيرًا قال وهو يحتضن سبيدي «أمي مريضة جدًا. أعتقد أنها جاءت إلى هنا للهروب من شريك والدي القديم. السيد مورغان سلوت.» شهق بقوة، وترك سبيدي، وتراجع، وفرك عينيه المتورمتين بكعبي يديه. دهش من عدم شعوره بالحرج كما كانت دموعه دائمًا من قبل، تُشعره بالاشمئزاز والخجل... كان الأمر أشبه بتبولك في سروالك. هل كان ذلك لأن والدته كانت دائمًا قاسية؟ ربما كان هذا جزء من الأمر، حسنًا؛ لم تكن ليلي كافانو في حاجة للدموع.

"لكن هذا ليس السبب الوحيد لمجيئها إلى هنا، أليس كذلك؟"

"لا،" قال جاك بصوت منخفض. "أعتقد... أنها جاءت إلى هنا لتموت." ارتفع صوته بشكل لا يُصدق عند الكلمة الأخيرة، مُصدرًا صريرًا كصوت مفصل غير مُزيت.

"ربما،" قال سبيدي، ناظرًا إلى جاك بثبات. "وربما أنت هنا لإنقاذها. هي... وامرأة مثلها تمامًا."

"من؟" قالها جاك بشفتين خدّرتين. كان يعرف من.. لم يكن يعرف اسمها، لكنه كان يعرف من.

"الملكة،" رد سبيدي. «اسمها لورا ديلوسيان، وهي ملكة المقاطعة."

٢

"ساعدني،" همهم سبيدي.."أمسك بالسيدة الفضية العجوز من تحت ذيلها، سنتصرف معها بحرية، لكنني أعتقد أنها لن تمانع إذا ساعدتني في إعادتها إلى مكانها.»

"هل هذا ما تسميها به؟ السيدة الفضية؟"

"أجل يا بوب،" رد سبيدي مبتسمًا، كاشفًا عن اثني عشر سنًا، علوية وسفلية. «جميع خيول الدوامة لها أسماء، ألا تعرف ذلك؟ هيا بنا.. يا جاك المسافر!»

مد جاك يده تحت ذيل الحصان الأبيض الخشبي وشبك أصابعه معًا. وهو يئن، لف سبيدي يديه البنيتين الكبيرتين حول ساقي السيدة الأماميتين، حملا معًا الحصان الخشبي إلى طبق الدوامة المائل، والعمود موجه للأسفل، وطرفه البعيد مغطى بطبقات من زيت كويكر ستيت.

"قليلًا إلى اليسار..." شهق سبيدي. "أجل..." . ثبتها الآن يا جاك المسافر! ثبتها جيدًا!

ثبتاها على العمود ثم تراجعا، جاك يلهث، وسبيدي يبتسم ويلهث بصعوبة.

مسح الرجل الأسود العرق عن جبينه ثم وجه ابتسامته نحو جاك.

"يا إلهي، أليس هذا رائعًا؟"

أجابه جاك مبتسمًا «إذا قلت ذلك».

"أقول ذلك! أوه، أجل!" مد سبيدي يده إلى جيبه الخلفي وأخرج زجاجة البيرة الخضراء الداكنة. فك الغطاء، وشرب وللحظة انتاب جاك شعور غريب كان بإمكانه أن يرى من خلال سبيدي. أصبح سبيدي شفافًا، شبحيًا كأحد المشروبات الروحية في برنامج «توبر»، الذي كانوا يعرضونه على إحدى محطات الإذاعة المستقلة في لوس أنجلوس. كان سبيدي يختفي ويتلاشى، فكر جاك متسائلا، أم أنه ذاهب إلى مكان آخر؟ إنها فكرة مجنونة أخرى؛ ليست منطقية على الإطلاق.

ثم عاد سبيدي كما كان. لقد كانت مجرد خدعة لعبتها عيناه، لحظة... لا. لا، لم تكن كذلك. لثانية واحدة، كاد أن يختفي!

هلوسة!

كان سبيدي ينظر إليه بتفهم بدأ يُمدّ الزجاجة لجاك، ثم حرك رأسه قليلًا وأعاد غطائها، ثم وضعها في جيبه الخلفي مرة أخرى. استدار لينظر إلى السيدة الفضية، بعد عودتها إلى مكانها على الدوامة، وبات كل ما تحتاجه الآن هو تثبيت عمودها بإحكام. وابتسم قائلاً «نحن رائعون للغاية، يا جاك المسافر.»

"سبيدي"

"كلهم مُسمّون،" تحدث سبيدي، وهو يمشي ببطء حول طبق الدوامة المائل، ووقع خطواته يتردد في المبنى العالي

إلى الأعلى، عبر تقاطع العوارض الخشبية المظلمة، والهديل الهادئ لعدد من طيور السنونو. تبعه جاك. «السيدة الفضية... منتصف الليل...» هذا الفرس هو سكوت... وهذه الفرسة هي إيلا سبيد.

ألقى الرجل الأسود رأسه للخلف وغنى، ففزعت طيور السنونو وهربت

كانت إيلا سبيد تستمتع بوقتها... دعني أخبرك بما فعله بيل مارتن العجوز «هووو! انظروا إليهم يطيرون!» ضحك... لكنه عندما التفت إلى جاك، عاد جادًا. «هل ترغب في محاولة إنقاذ حياة والدتك يا جاك؟ حياتها، وحياة تلك المرأة الأخرى التي أخبرتك عنها؟»

"أنا..."... لا أعرف كيف، أقصد أن أقول، لكن صوتًا في الداخل قادمًا من نفس الغرفة المغلقة سابقًا والتى أعادت له ذكرى الرجلين ومحاولة الاختطاف ذلك الصباح ارتفع بقوة «أنت تعرف! قد تحتاج إلى سبيدي للبدء، لكنك تعرف يا جاك. أنت تعرف.. كان يعرف ذلك الصوت جيدًا. كان صوت والده. قال «سأفعل إذا أخبرتني كيف». كان صوته يتخبط بين العلو والهمس.

عبر سبيدي إلى الجدار البعيد للغرفة، تجاه شكلًا دائريًا كبيرًا مصنوعًا من ألواح خشبية ضئيلة، مطليًا بجدارية بدائية لكنها مفعمة بالحيوية لخيول جامحة. بالنسبة لجاك، بدا الجدار كغطاء مكتب والده القابل للسحب (وكان ذلك

المكتب في مكتب مورغان سلوت آخر مرة زاره فيها جاك ووالدته، كما تذكر فجأة فأثارت الفكرة في نفسه غضبًا خفيفًا).

أخرج سبيدي حلقة مفاتيح ضخمة، وبحث فيها بعناية حتى عثر على المفتاح الذي يريده، ووضعه في القفل ثم سحب القفل من المزلاج، وأغلقه بنقرة، بعدها وضعه في أحد جيوب صدريته. ثم أعاد الجدارية بأكملها إلى مسارها. تدفق ضوء الشمس الساطع بشكل رائع، مما جعل جاك يضيق عينيه. رقصت تموجات الماء برقة عبر السقف. كانوا يتأملون منظر البحر الرائع الذي كان يحظى به راكبو دوامة أركاديا فن وورلد كلما حملتهم سيلفر ليدي وميدنايت وسكاوت عبر الجانب الشرقي من مبنى الدوامة الدائرية. هبّت نسمة بحر خفيفة ودفعت شعر جاك للخلف.

قال سبيدي "من الأفضل أن يكون هناك ضوء شمس إذا كنا سنتحدث عن هذا. تعال إلى هنا يا جاك المسافر، وسأخبرك بما أستطيع... وليس كل ما أعرفه. معاذ الله من أن تتحمل كل هذا...

٣

تحدث سبيدي بصوته الهادئ الذي يبعث الراحة والطمأنينة في قلب جاك، واستمع جاك بعبوس أحيًا ومحدقًا أحيانًا أخرى...

هل تعرف تلك الأشياء التي تدعى أحلام اليقظة؟

أومأ جاك برأسه بالإيجاب.

"تلك الأشياء ليست أحلامًا، يا جاك المسافر.. لا أحلام يقظة ولا أحلام ليلية أيضًا إن هذا المكان حقيقي.. حقيقي بما يكفي على أي حال.. إنه مختلف كثيرًا عن هنا، لكنه حقيقي.»

"سبيدي.. أمي تقول"

لا تهتم بهذا الأمر الآن.. إنها لا تعرف شيئًا عن المنطقة... لكنها، بطريقة ما، تعلم عن الأمر شيئًا. لأن والدك كان يعرف. وهذا الرجل الآخر

"مورغان سلوت؟"

"أجل، أعتقد أنه يعرف أيضًا.» ثم أضاف سبيدي بغموض "أعتقد أنني أعلم من هو الرجل القابع هناك أيضًا ! يا إلهي!"

"الصورة في مكتبك... ليست من أفريقيا؟"

"ليست من أفريقيا."

"ليست خدعة؟"

"ليست خدعة."

"وذهب والدي إلى هذا المكان؟" سأله، لكن قلبه كان يعرف الإجابة بالفعل.. كانت إجابة توضح أشياء كثيرة جدًا يصعب تصديقها، لكن، سواء أكانت حقيقية أم لا، لم يكن جاك متأكدًا من مقدار ما يستطيع تصديقه...

أراضٍ سحرية؟ ملكات مريضات؟ جعله هذا الأمر يشعر بالارتباك، ويقلق بشأن عقله. ألم تُخبره أمه مرارًا وتكرارًا وهو صغير أنه لا ينبغي له الخلط بين أحلام اليقظة والواقع؟ كانت صارمة للغاية في ذلك، وأخافت جاك قليلًا. ربما.. فكّر الآن، هي نفسها كانت خائفة. هل يُمكن أن تكون قد عاشت مع والد جاك كل تلك المدة دون أن تعرف شيئًا؟ لم يعتقد جاك ذلك. ربما، فكّر، لم تكن تعرف الكثير...

فقط ما يكفي لإخافتها.

الجنون. هذا ما كانت تتحدث عنه.. من لا يستطيع التمييز بين الأشياء الحقيقية والخيالية يُصاب بالجنون.

لكن والده كان يعرف حقيقة مختلفة، أليس كذلك؟ نعم. هو ومورغان سلوت.

لديهما سحر كما لدينا فيزياء، أليس كذلك؟

"كان والدك يذهب كثيرًا، نعم. وهذا الرجل الآخر، غروت»

"سلوت."

"نعم يا صاح! هو.. لقد ذهب أيضًا.» والدك يا جاكي ذهب فقط ليرى ويتعلم. أما الآخر، فقد ذهب ليسلبه ثروة طائلة.

سأله جاك "هل قتل مورغان سلوت عمي تومي؟".

لا أعرف شيئًا عن هذا.. استمع لي يا جاك المسافر. فالوقت ضيق. إن كنت تعتقد حقًا أن هذا الرجل السلوت سيظهر هنا...

"بدا غاضبًا جدًا،" قالها جاك وهو يشعر بالتوتر من مجرد التفكير في ظهور العم مورغان على شواطئ أركاديا...

"إذن الوقت ضيق جدًا. لأنه ربما لن يمانع كثيرًا إذا ماتت والدتك، وتوأمها يتمنى بشدة أن تموت الملكة لورا."

توأم؟

رد سبيدي "هناك أناس في هذا العالم لديهم توائم في المنطقة وهم ليسوا كثيرين، لأن عددهم أقل بكثير هناك ربما واحد فقط لكل مئة ألف هنا، لكن التوائم يمكنهم التنقل بسهولة.»

هذه الملكة... هي توأم والدتي... توأمها؟

نعم، يبدو أنها كذلك.

لكن أمي لم تفعل ذلك قط؟

لا. لم تفعل ذلك قط. لا يوجد سبب.

هل كان لدى والدي... توأم؟

بلى، كان لديه. رجل رائع.

ترقب جاك باهتمام.. يا له من حديث مجنون! التوائم والأراضي! "عندما مات والدي هنا، هل مات توأمه هناك؟"

"نعم. ليس في ذات الوقت، لكن في زمن متقارب."

"سبيدي؟"

"ماذا؟"

"هل لدي توأم؟ في الأراضي؟"

نظر إليه سبيدي بجدية شديدة لدرجة أن جاك شعر بقشعريرة تسري في ظهره. «ليس أنت يا بني. هناك واحد فقط مثلك. أنت مميز. وهذا الرجل سموت»

قال جاك مبتسمًا ابتسامة خفيفة «سلوت».

نعم، لا يهم، إنه يعرف ذلك. قد يكون هذا أحد أسباب مجيئه إلى هنا قريبًا. وأحد أسباب انتقالك.

"لماذا؟" انفجر جاك. "ما الفائدة التي يُمكنني جنيها إذا كان سرطانًا؟ إذا كان سرطانًا وهي هنا بدلًا من عيادة ما، فذلك لأنه لا سبيل، إذا كانت هنا، أتدرك، ماذا يعني..." نازعت الدموع مرة أخرى فابتلعها بقلب محموم. "هذا يعني أن الأمر لا بد أن يكون من خلالها."

من خلالها. نعم. كانت تلك حقيقة أخرى عرفها قلبه.. حقيقة فقدانها المتسارع للوزن، حقيقة الهالات البنية تحت عينيها.

من خلالها، ولكن يا إلهي، يا إلهي، من فضلك يا رجل، إنها أمي "أعني،" أنهى كلامه بصوت أجش، "ما فائدة مكان أحلام اليقظة هذا؟"

"أشعر بأن كيلي قد طفح الآن،» قال سبيدي. «فقط صدق هذا يا جاك المشافر لم أكن لأخبرك أبدًا أنه يجب عليك الذهاب إذا لم تستطع أن تُفيدها.»

"لكن..."

"اصمت يا جاك المسافر. لا أستطيع التحدث أكثر فلن تجدي الكلمات نفعًا حتى أُريك بعض مما أقصد، هيا."

وضع سبيدي ذراعه حول كتف جاك وقاده حول طبق الكاروسيل، خرجا من الباب معًا وسارا في أحد شوارع مدينة الملاهي المهجورة.

على يسارهما كان مبنى سيارات ديمون دودجم، وقد أُغلق الآن وعلى يمينهما كانت سلسلة من الأكشاك «العب وأربح"، و"بيتزا وفطائر المعجنات الشهيرة على الرصيف»، و«معرض ريم فاير للرماية»، وقد أُغلق أيضًا (كانت حيوانات برية باهتة تتراقص على الألواح الخشبية أسود ونمور ودببة، يا إلهي).

وصلا إلى الشارع الرئيسي الواسع، الذي كان يُسمى شارع بورووك في تقليد غامض لمدينة أتلانتيك سيتي، كان لدى أركاديا فن وورلد رصيف، ولكن لم يكن هناك ممشى خشبي

حقيقي. كان مبنى الممرات الممتدة على بُعد مئة ياردة إلى يسارهم، والقوس الذي يُشير إلى مدخل عالم أركاديا الترفيهي على بُعد حوالي مئتي ياردة إلى يمينهم. كان جاك يسمع صوت الأمواج المتلاطمة، ونعيق النوارس المنعزل.

نظر إلى سبيدي، يريد أن يسأله ماذا الآن، ماذا بعد؟ هل يقصد أيًا من ذلك أم أنها مزحة قاسية... لكنه لم يقل شيئًا.. كان سبيدي يُمسك بالزجاجة الخضراء.

"هذا" بدأ جاك حديثه.

"يأخذك إلى هناك،" رد سبيدي. «الكثير من زوار هذا المكان لا يحتاجون إلى شيء كهذا، لكنك لم تزره منذ مدة يا جاكي، أليس كذلك؟»

"لا." متى كانت آخر مرة أغمض فيها عينيه في هذا العالم وفتحهما في عالم أحلام اليقظة السحري، ذلك العالم برائحته الغنية والحيوية وسمائه العميقة الشفافة؟ العام الماضي؟ لا. أبعد من ذلك... كاليفورنيا... بعد وفاة والده. كان سيبلغ من العمر حوالي...

اتسعت عينا جاك. تسع سنوات؟ كل هذا العمر؟ ثلاث سنوات؟

كان من المخيف التفكير في كيف انزلقت تلك الأحلام، أحيانًا حلوة وأحيانًا أخرى مقلقةً بشكل قاتم، بهدوءٍ ودون أي تدخل كما لو أن جزءًا كبيرًا من خياله قد مات دون ألمٍ أو

إنذار.

أخذ الزجاجة من سبيدي بسرعة، وكاد أن يسقطها. شعر ببعض الذعر. بعض أحلام اليقظة كانت مزعجة، نعم، ونصائح والدته المصاغة بعناية بعدم خلط الواقع بالخيال (بمعنى آخر، لا تجن يا جاكي، أيها الطفل الخرف، حسنًا؟) كانت مخيفة بعض الشيء، نعم، لكنه اكتشف الآن أنه لا يريد أن يخسر ذلك العالم في النهاية.

نظر في عيني سبيدي وفكر إنه يعرف ذلك أيضًا. كل ما فكرت فيه للتو، يعرفه. من أنت يا سبيدي؟

قال سبيدي «عندما تغيب عن هناك لفترة، تنسى كيف تصل إليه بمفردك». أومأ برأسه نحو الزجاجة. «لهذا السبب أحضرتُ بعض العصير السحري. هذا العصير مميز.» نطق سبيدي هذه الجملة الأخيرة بنبرة تكاد تكون مُبجّلة.

"هل هو من هناك؟ من الأراضي؟"

"لا. لديهم بعض السحر هنا يا جاك المسافر فقط قليلا ليس كثيرا وهذا العصير السحري من كاليفورنيا."

نظر إليه جاك بشك.

"هيا. ارتشف رشفة صغيرة وانظر إن كنت ستسافر." ابتسم سبيدي. "اشرب ما يكفي من هذا، يمكنك الذهاب إلى أي مكان تريده تقريبًا. أنت تنظر إلى شخص يعرف."

"يا إلهي، سبيدي، لكن" بدأ يشعر بالخوف. جفّ فمه، وبدت

الشمس ساطعة جدًا، وشعر بنبضه يتسارع في صدغيه. كان هناك طعم نحاسي تحت لسانه، وفكّر جاك إن طعم العصير السحري يبدوا بشعًا.

قال سبيدي "إذا شعرت بالخوف وأردت العودة، ارتشف رشفة أخرى،".

"ستأتي معي؟ الزجاجة؟ هل تعدني؟» كانت فكرة البقاء عالقًا هناك، في ذلك المكان الغامض الآخر، بينما أمه مريضة ومُبتلاة بـ «سلوت» هنا، مُرعبة.

"أعدك."

"حسنًا." وضع جاك الزجاجة على شفتيه... ثم أبعدها قليلًا. كانت الرائحة بشعة حادة وكريهة. «لا أريد ذلك يا سبيدي،» همس.

نظر إليه ليستر باركر، وكانت شفتاه تبتسمان، لكن لم تكن هناك ابتسامة في عينيه كانتا صارمتين. لا هوادة فيهما، مُرعبتين. فكّر جاك في العيون سوداء عين النورس، عين الدوامة واجتاحه الرعب.

مد الزجاجة إلى سبيدي. «هل يمكنك أن تستعيدها؟» تسائل بصوت هامس ضعيف «أرجوك؟»

لم يُجب سبيدي. لم يُذكّر جاك بأن أمه تحتضر، أو أن مورغان سلوت قادم. لم ينعت جاك بالجبن، مع أنه لم يشعر قط في حياته بمثل هذا الشعور، ولا حتى عندما تراجع عن

المنصة في معسكر أكوماك، وهتف له بعض الأطفال اكتفى سبيدي بالاستدارة وصفّر لسحابة.

الآن، انضمّ الشعور بالوحدة إلى الرعب، يجتاحانه بلا حول ولا قوة. أعطاه سبيدي ظهره وابتعد عنه.

صاح جاك فجأة: «حسنًا، حسنًا، إن كان هذا ما تريدني أن أفعله.»

رفع الزجاجة مجددًا، ودون أن يتردد، شرب.

كان طعمها أسوأ مما توقع. لقد شرب النبيذ من قبل، بل وطوّر ذوقًا له (كان يُحبّ النبيذ الأبيض الجافّ الذي تُقدّمه والدته مع سمك موسى أو النهاش أو أبو سيف)، وكان هذا المشروب أشبه بالنبيذ... ولكنه في الوقت نفسه كان تقليدًا مُريعًا لكلّ أنواع النبيذ التي شربها من قبل. كان الطعم حلوًا وكريهًا وفاسدًا، ليس طعم عنبٍ حيّ، بل عنبٍ ميتٍ لم يُعش جيدًا.

بينما امتلأ فمه بذلك الطعم الأرجواني الحلو البشع، استطاع أن يرى حبات العنب تلك باهتة، مغبرة، بدينةً، وكريهة الرائحة، تزحف على جدارٍ من الجص المتسخ تحت ضوء شمس كئيف كعصير الفاكهة، صامتٍ إلا من طنينِ أحمقٍ لذبابٍ كثير.

ابتلع ريقه، وطبعت نارٌ خفيفةٌ أثرًا حلزونيًا في حلقه.

أغمض عينيه، مُتجهمًا، وكادت معدته أن تتضخم. لم يتقيأ،

مع أنه أعتقد أنه لو تناول أي فطورٍ لفعلها.

"سبيدي"

فتح عينيه، واختفت كل الكلمات في حلقه، نسي حاجته لابتلاع تلك المحاكاة الساخرة البشعة للنبيذ، نسي أمه، وعمه مورغان، وأبيه، وكل شيءٍ تقريبًا.

لقد رحل سبيدي. اختفت أقواس الأفعوانية الرشيقة في السماء. اختفى شارع بورووك.

كان في مكان آخر الآن. كان "في المنطقة» همس جاك، وجسده كله يرتجف بمزيج جنوني من الرعب والنشوة. شعر بشعره يرتعش على مؤخرة رقبته، وشعر بابتسامة ساخرة تجذب زوايا فمه. «سبيدي، أنا هنا، يا إلهي، أنا هنا في المنطقة! أنا..."

لكن الدهشة غلبته. وضع يده على فمه واستدار ببطء في دائرة كاملة، ناظرًا إلى هذا المكان الذي أوصله إليه «عصير سبيدي السحري».

٤

مازال المحيط موجودًا، لكنه زرقته باتت أغنى وأغمق، حيث رأى فيه جاك الزرقة النيلية الأكثر وضوحًا على الإطلاق، توقف للحظات مذهولًا، ونسيم البحر يداعب شعره، ناظرًا إلى الأفق حيث يلتقي المحيط النيلي بالسماء المنبسطة كالنسيج القطني الباهت.

بدأ خط الأفق يميل بخفوت...

فحرك رأسه عابسًا، ثم استدار للاتجاه الآخر حيث الأعشاب البحرية العاليةً، البرية والمتشابكة، المنحدرة من الأعلى حيث كان مبنى الدوامة الدائرية قبل دقيقة واحدة فقط، اختفى رصيف الممرات أيضًا؛ من حيث كان، انحدرت كتل الجرانيت الجامحة إلى المحيط تضربها الأمواج من الأسفل، وتتسرب لممراتها وقنواتها القديمة محدثة دويّ هائل ثم قفزت رغوة كثيفة كالكريمة المخفوقة مخترقة الهواء الصافي، فدفعتها الرياح بعيدًا.

فجأة، أمسك جاك خده الأيسر بإبهامه وسبابته اليسرى وقرصه بقوة حتى دمعت عيناه، لكن لم يتغير شيء...

همس قائلًا "إنه حقيقي"، فاندفعت موجة أخرى إلى الأعلى تاركةً خلفها رغوة بيضاء كثيفة.

أدرك جاك فجأةً أن شارع بوردووك لا يزال هنا... بطريقة ما. امتد مسار العربات المتعرج من القمة حيث انتهى شارع

بوردووك عند مدخل الممر فيما كان يعتقده دائمًا بأنه «العالم الحقيقي» نزولًا إلى حيث كان يقف، ثم شمالًا، تمامًا كما يمتد شارع بوردووك شمالًا، ليصبح شارع أركاديا بعد أن مر تحت القوس عند حدود عالم المرح، نما عشب البحر على طول مركز هذا المسار، لكن مظهره كان مُعقَّدًا ومتشابكًا، مما جعل جاك يعتقد أن المسار لا يزال مستخدمًا، من حين لآخر على الأقل.

انطلق شمالًا، وهو لا يزال يحمل الزجاجة الخضراء في يده اليمنى، فكر أن في مكان ما، في عالم آخر، مازال سبيدي يحمل غطاء هذه الزجاجة.

"هل اختفيت من أمامه مباشرةً؟ أظن ذلك.. يا إلهي!"

بعد حوالي أربعين خطوة على طول الطريق، صادف شجيرات توت أسود متشابكة. وسط الأشواك، كانت أضخم حبات توت أسود، داكنة، والأكثر خصوبةً مما رآه طوال حياته أصدرت معدة جاك صوت عالٍ على ما يبدو أنها قد أصيبت بصدمة شديدة إثر إذلالها بـ"العصير السحري".

توت أسود؟ في سبتمبر؟

لا بأس.. بعد كل ما حدث اليوم (ولم تكن الساعة قد بلغت العاشرة بعد)، عليه التمسك بتناول التوت الأسود وإن كان في سبتمبر فرفضه أشبه برفض شخص مصاب بالتصلب لتناول الأسبرين.

مد جاك يده، والتقط حفنة من التوت، وقذفها في فمه. كانت حلوةً ولذيذةً بشكلٍ مذهل، ابتسم (وقد اكتسبت شفتاه لونًا أزرقًا واضحًا)، ظنًا منه أنه من المحتمل جدًا أنه فقد عقله، قطف حفنة أخرى من التوت... ثم حفنة ثالثة. لم يذق شيئًا بهذه الروعة من قبل رغم إدراكه لاحقًا، إن التوت لم يكن السبب فحسب؛ بل كان جزءًا منه الصفاء المذهل للهواء.

أصيب بخدشين أثناء قطفه الحصة الرابعة وكأن الشجيرات تطلب منه التوقف، بعدما طفح كيلها، لعق أعمق الخدوش، على الوسادة اللحمية أسفل إبهامه، ثم اتجه مجددًا شمالًا على طول الأخاديد المزدوجة، أخذ يتحرك ببطء، محاولًا رؤية كل الأماكن في آن واحد.

توقف على بُعد من أشجار التوت الأسود المتشابكة لينظر إلى الشمس، التي بدت أصغر حجمًا وأكثر توهجًا. هل كان لها مسحة برتقالية باهتة، كما في تلك الصور القديمة من العصور الوسطى؟ ظن جاك أنها كذلك.

و...

صرخة، صدئة ومزعجة كمسمار قديم يُسحب ببطء من لوح، علت فجأةً عن يمينه، وشتتت أفكاره.. استدار جاك نحوها، ورفع كتفيه، واتسعت عيناه. كان نورسًا ذو حجم هائل، كاد ألا يُصدق (ولكنه كان هناك، صلبًا كالحجر، حقيقيًا كالبيوت). كان في الواقع بحجم نسر، يميل برأسه الأبيض الأملس كالرصاصة على جانبه، وأخذ يفتح ويغلق منقاره

الشبيه بخطاف السمك، ورفرف بجناحيه الكبيرين، مما أدى لتمايل أعشاب البحر من حوله..

ثم، دون أي خوف بادٍ، بدأ يقفز نحو جاك.

وأخيرًا، سمع جاك نغمات منخفضة لعدة أبواق تُنفخ معًا، ودون سبب على الإطلاق وجد نفسه يفكر في أمه.

نظر إلى الشمال للحظة، في الاتجاه الذي سافر منه، منجذبًا للك الصوت الذي ملأه بشعور ملح عجيب لم يدري له سبب، كان الأمر، فكر (وقتما كان هناك وقت للتفكير)، أشبه بالجوع لشيء مُحدد لم تتناوله منذ فترة طويلة.. آيس كريم، رقائق بطاطس، ربما تاكو. لن تعرف حتى تراه، وحين تجده، ستنتابك حالة غير مفهومة، تُربكك وتثير قلقك.

رأى رايات وقمة ما ربما تكون خيمةً عظيمة أو جناحًا يتربع في السماء.

هناك حيث يقع قصر الحمراء، فكّر، ثم صرخ النورس في وجهه.

التفت نحو الصوت، فذعر عندما رأى أنه أصبح الآن على بُعد أقل من ستة أقدام. فتح منقاره مرة أخرى، كاشفًا عن تلك البطانة الوردية القذرة، مما جعله يتذكر الأمس، النورس الذي أسقط المحارة على الصخرة ثم حدّق فيه بنظرة بغيضة تمامًا مثل هذه. كان النورس غاضبًا.

كان متأكدًا من ذلك. وبينما هو يقترب، شم جاك رائحة

كريهة أحاطت به سمك ميت وأعشاب بحرية متعفنة.

نعق النورس نحوه ورفرف بجناحيه مجددًا.

قال جاك بصوت عالٍ: «اخرج من هنا». كان قلبه ينبض بقوة، وفمه جاف، لكنه لم يُرد أن يُخيفه نورس، مهما كان كبيرًا. «اخرج!»

فتح النورس منقاره مجددًا... ثم، في سلسلة نبضات رهيبة مفتوحة الحنجرة، تكلم أو بدا وكأنه تكلم.

"يا إلهي يا إلهي يا إلهي"... "يا إلهي يا إلهي"...

أمي تحتضر يا جاك...

قفز النورس نحوه قفزة أخرى خرقاء، متشبثًا بالعشب المتشابك، ومنقاره يفتح ويغلق، وعيناه السوداوان مثبتتان على جاك. بالكاد يعي جاك ما يفعل، رفع الزجاجة الخضراء وشرب.

مرة أخرى، جعله ذلك المذاق الفظيع يغمض عينيه وحين فتحهما وجد نفسه ينظر بغباء إلى لافتة صفراء تُظهر صورتين ظليتين سوداوين لطفلين يركضان، صبي صغير وفتاة صغيرة. كُتب عليها «أطفال بطيئون». طار نورس بحجم طبيعي تمامًا من فوقها وأخذ ينعق، لا شك أنه فوجئ بظهور جاك المفاجئ.

نظر حوله، فصعق من شدة الارتباك. انقلبت معدته، المليئة بالتوت الأسود و«عصير سبيدي السحري» المتقيح، أخذ

يتأوه وبدأت عضلات ساقيه ترتعش بشكل مزعج، وبسرعة جلس على الرصيف عند قاعدة اللافتة، وسمع دويًا ارتطم بعموده الفقري وأجبر أسنانه على الطقطقة.

انحنى فجأة بين ركبتيه المتباعدتين تح فمه على اتساعه، متأكدًا من أنه سيثور. وبدلاً من ذلك، أصيب بالفواق مرتين، ثم بدأ شعور الاسترخاء يتسلل ببطء في معدته.

كان التوت، فكر.. لولا التوت، لتقيأت بالتأكيد.

رفع رأسه وأحس بمشاعر غير واقعية تغمره مجددًا.. هو لم يمشِ أكثر من ستين خطوة على مسار العربات في عالم الأراضي. كان متأكدًا من ذلك، لنقل أنه خطى قدمين لا، لنقل قدمين ونصف، فقط للاحتياط. هذا يعني أنه قطع مسافة مائة وخمسين قدمًا فقط. لكن... نظر خلفه فرأى القوس بحروفه الحمراء الكبيرة (عالم أركاديا الممتع) على الرغم من قوة بصره، إلا أن العلامة أصبحت الآن بعيدة جدًا لدرجة أنه بالكاد يستطيع قراءة كلماتها. على يمينه كان تُزل الحمراء الواسع متعدد الأجنحة، وأمامه الحدائق الرسمية ومن خلفه كان المحيط...

في عالم الأراضي، قطع مئة وخمسين قدمًا.

هنا، قطع بطريقة ما نصف ميل.

"يا إلهي!" همس جاك سوير، وغطى عينيه بيديه.

٥

"جاك! جاك، يا ولد.. جاك المسافر!"

عليَ صوت سبيدي متجاوزًا محرك غسالة الملابس القديمة ذي الستة أسطوانات. رفع جاك رأسه وقد أحس بثقل لا يُحتمل، وبأطرافه منهكة من التعب وكأن شاحنة إنترناشونال هارفستر عتيقة تتجه نحوه ببطء، بجوانب خشبية محلية الصنع ممتدة لمؤخرتها، تتأرجح ذهابًا وإيابًا كالأسنان المتخلخلة وبينما هي تتقدم في الشارع تجاهه.. رأى هيكلها الذي ظُليَ بلون فيروزي بشع، سبيدي خلف عجلة القيادة.

توقف على جانب الرصيف، شغّل المحرك (هوووب! هووووب! هووووب-هووووب-هووووب!)، ثم أطفأه (هوووب...) ونزل بسرعة.

"هل أنت بخير يا جاك؟"

مد جاك الزجاجة لسبيدي ليأخذها، ورد بنبرة باهتة «عصيرك السحري سيء للغاية يا سبيدي»، بدا سبيدي متألمًا... ثم ابتسم.

«من أعطاك دواءً يُفترض أن يكون لذيذًا يا جاك المسافر؟»

رد جاك "لا أحد، على ما أظن".

أحس ببعض قوته تعود إليه ببطء، بعدما تلاشت مشاعر التيه شيئا فشيئا...

"هل تُصدق الآن يا جاك؟"

أوماً جاك برأسه

قال سبيدي «لا، أنا لا أفهمك، قلها بصوت عالٍ.»

رد جاك «الأراضي، إنها موجودة وحقيقية، لقد رأيت طائرًا.»

وقف سبيدي وسأله بحدة وارتباك «أي نوع من الطيور؟»

هز جاك رأسه قائلًا «نورس.. أضخم نورس لعين.» ثم فكر جاك وأكمل حديثه «لن تصدق ذلك.. لا، أظنك ستصدق. ربما لا أحد غيرك، لكنك ستصدق."

هل تكلم؟ الكثير من الطيور هناك تفعل ذلك ويكون غالبًا هراء، لكن هناك بعضها يتحدث بتعقل... لكنه تعقل شرير، وأغلب حديثهم أكاذيب.

كان جاك يومئ برأسه فمجرد سماعه لسبيدي يتحدث عن تلك الأمور، كما لو كانت منطقية ومسلم بها، جعله يشعر بتحسن.

"أعتقد أنه تحدث بالفعل، لكنه كان..." فكّر مليًا.. «كان هناك طفل في المدرسة التي درسنا فيها أنا وريتشارد في لوس أنجلوس، براندون لويس. كان يعاني من إعاقة في الكلام، وعندما يتحدث، بالكاد يُمكن فهمه. كان الطائر كذلك. لكنني كنت أعرف ما قاله. قال إن أمي تحتضر.»

وضع سبيدي ذراعه حول كتفَي جاك، وجلسا بهدوء على

الرصيف لبعض الوقت. خرج موظف الاستقبال شاحب الوجه النحيف المرتاب من كل شيء في الوجود من فندق الحمراء، حاملًا كومة كبيرة من البريد. راقبه سبيدي وجاك وهو ينزل إلى زاوية شارعي أركاديا وشاطئ درايف، ويلقي بمراسلات الفندق في صندوق البريد.. استدار، وحدج جاك وسبيدي بنظرة ثاقبة، ثم عاد نحو الممر الرئيسي لفندق الحمراء، بالكاد تمكنا من رؤية قمة رأسه من فوق قمم سياج الأشجار الكثيفة.

كان صوت فتح الباب الأمامي الكبير وإغلاقه مسموعًا بوضوح، وأنتاب جاك شعور رهيب.. كم هو موحش الخريف في هذا المكان بشوارعه الواسعة التي هجرها المارة، الشاطئ الممتد بكثبانه الرملية المقفرة، مدينة الملاهي الخالية، وعربات الأفعوانية المتكهنة تحت الأغطية القماشية على جانب الطريق، وكل تلك الأكشاك المقفلة.. وخطر بباله أن والدته قد أحضرته إلى مكان أشبه بنهاية العالم...

أمال سبيدي رأسه للخلف وراح يغني بصوته العذب "حسنًا، لقد استلقيث هنا وهناك... ولعبث هنا وهناك... في هذه المدينة القديمة لفترة طويلة جدًا... الصيف على وشك الانتهاء، أجل، والشتاء قادم... الشتاء قادم، وأشعر... أن عليّ مواصلة السفر..."

ثم توقف ونظر إلى جاك.

"أتشعر أنك مضطر للسفر يا جاك المسافر؟"

تسلل الرعب إلى عظامه.

"أعتقد ذلك،" رد «إن كان ذلك سيساعد.. يساعدها.. هل يمكنني مساعدتها يا سبيدي؟»

رد سبيدي بجدية "بإمكانك،".

"لكن..."

"أوه، هناك سلسال طويل من الـ «لكن»، قال سبيدي.. «حمولة كاملة من الـ «لكن» يا جاك المسافر.. لا أعدك بالسهولة.. لا أعدك بالنجاح.. لا أعدك بأنك ستعود حيًا، وإن عدت، ستعود وعقلك ما يزال متماسكًا.

"سيتعين عليك القيام بالكثير من رحلاتك في الأراضي، لأنها أصغر بكثير.. هل لاحظت ذلك؟»

"... "

نعم.

"كنت أتوقع ذلك.. لأنك بالتأكيد قد تعرضت لمشكلة كبيرة على الطريق، أليس كذلك؟»

"الآن يبادر سؤال كان قد اختلج عقل جاك، ورغم أنه خارج السياق، إلا أن عليه أن يعرف.. «هل اختفيت يا سبيدي؟ هل رأيتني أختفي؟»

"لقد ذهبت"، رد سبيدي، وصفق بيديه صفقة حادة، «بسهولة.» شعر جاك بابتسامة بطيئة تسلل بلا رغبة حقيقية إلى شفتيه ... وابتسم سبيدي في المقابل.

قال جاك «أودُّ أن أفعل ذلك يومًا ما في حصة الحاسوب مع السيد بالغو»، فضحك سبيدي ضحكة طفولية، انضمّ إليه جاك، كان الضحك ممتعًا، لذيذًا كطعم التوت الأسود.

بعد لحظات، استعاد سبيدي وعيه وقال "هناك سببٌ لوجودك في الأراضي يا جاك. هناك شيءٌ عليك الحصول عليه، إنه شيءٌ قويٌ للغاية.»

"وهل هو هناك؟"

"أجل يا بوب."

"هل يُمكن أن يُساعد أمي؟"

"هي... والأخرى."

"الملكة؟"

أومأ سبيدى.

"ما هو؟ أين هو؟ متى..."

"انتظر! توقف!" رفع سبيدي يده. كانت شفتاه تبتسمان، لكن عينيه كانتا جادتين، حزينتين «شيءٌ واحدٌ في كل مرة.." "وجاك، لا أستطيع أن أخبرك بما لا أعرفه... أو بما لا يُسمح لي أن أقوله."

تسائل جاك في حيرة "ممنوع؟" "من...؟»

قال سبيدي: «ها أنت ذا. اسمع يا جاك المسافر. عليك المغادرة بأسرع ما يمكن، قبل أن يأتي ذلك الرجل بلوت

ويخنقك..."

"سلوت."

"بلى، هو.. عليك المغادرة قبل أن يأتي.»

"لكنه سيزعج أمي،" رد جاك، متسائلاً عن سبب قوله ذلك.. هل هو صحيح، أم لأنه ذريعة لتجنب الرحلة التي أعدها سبيدي له، كوجبة قد تكون مسمومة. «أنت لا تعرفه! إنه..."

"أعرفه،" قال سبيدي بهدوء. "أعرفه منذ زمن يا جاك المسافر وهو يعرفني، وقد تركت علاماتي عليه.. إنها مخفية.. لكنها موجودة. تستطيع أمك الاعتناء بنفسها. على الأقل، ستضطر إلى ذلك لفترة. لأنك يجب أن تذهب."

"إلى أين؟"

رد سبيدي: «غربًا. من هذا المحيط إلى الآخر».

"ماذا؟" صرخ جاك، وقد روعه التفكير في تلك المسافة، ثم تذكر إعلانًا شاهده على التلفاز قبل ثلاث ليالٍ فقط.. رجل يلتقط أطعمة لذيذة من بوفيه على ارتفاع خمسة وثلاثين ألف قدم في الهواء، بمنتهى الهدوء والاتزان.. سافر جاك من ساحل إلى آخر مع والدته أكثر من عشرين مرة، وكان دائمًا ما يُسعده سرًا أنه عندما تسافر من نيويورك إلى لوس أنجلوس، يمكنك الحصول على ست عشرة ساعة من ضوء النهار. كان الأمر أشبه باستغلال الوقت. وكان سهلًا...

سأل جاك سبيدي "هل يمكنني السفر جوًا؟».

"لا!" كاد سبيدي أن يصرخ، وعيناه تتسعان من الذعر. أمسك بقوة بكتفي جاك. «لا تدع شيئًا يُصعقك في السماء! لا تفعل! إذا انقلبت إلى الأراضي أثناء وجودك هناك.» لم ينطق بكلمة؛ لم يكن مضطرًا لذلك.. كانت لدى جاك صورة مفاجئة ومرعبة لنفسه وهو يهوى من تلك السماء الصافية الخالية من الغيوم، وهو عبارة عن فتى صارخ بلا مظلة يرتدي الجينز وقميص رجبي مخطط باللونين الأحمر والأبيض.

قال سبيدي "امشِ، وجرّب أي رحلة تظن أنك قادر عليها... لكن عليك أن تكون حذرًا، فهناك غرباء في الخارج.. بعضهم مجرد مجانين، وبعضهم مخنثين يودون لمسك أو بلطجية يودون سرقتك، لكن بعضهم غرباء حقيقيون إنهم أناسٌ يضعون قدمًا في كل عالم، إنهم عباقرة نبدوا بالنسبة لهم حمقى. أخشى أنهم سيعرفون بقدومك قبل أن يمضي وقت كافٍ. وسيكونون على أهبة الاستعداد."

"هل هم..." همس.. «توأم؟»

"بعضهم كذلك، وبعضهم ليس كذلك.. لا أستطيع قول المزيد الآن، لكن اعبر إن استطعت.. اعبر إلى المحيط الآخر، سافر في الأراضي ووقتما استطعت ستعبر أسرع.. خذ العصير..»

"أنا أكره ذلك!»

قال سبيدي بصرامة «لا يهم ما تكره.. اعبر وستجد مكانًا آخر في الحمراء، عليك أن تذهب إليه إنه مكان مخيف، مكان

سيء.. لكن عليك الذهاب."

"كيف سأجده؟"

"سيناديك. ستسمعه عاليًا وواضحًا يا بني."

"لماذا؟" سأل جاك وهو يبلّل شفتيه. "لماذا عليّ الذهاب إلى هناك، إذا كان الوضع سيئًا لتلك الدرجة؟»

"لأن،" قال سبيدي، "التعويذة موجودة هناك.. في مكان ما في الحمراء الأخرى.»

"لا أعلم عما تتحدث!"

رد سبيدي «ستفعل».. نهض، ثم أمسك بيد جاك، نهض جاك ووقف الاثنان وجهًا لوجه، رجل أسود عجوز وشاب أبيض.

قال سبيدي، وقد اتخذ صوته إيقاعًا بطيئًا منغمًا «اسمع.. لتحصل على التعويذة يا جاك المسافر هي ليست كبيرة جدًا ولا صغيرة جدًا، تبدو تمامًا ككرة بلورية. جاك المسافر، يا جاك المسافر العجوز، ستذهب إلى كاليفورنيا لإعادتها. لكن هذا عبئك، هذا صليبك، اتركها يا جاك، وسيضيع كل شيء.»

كرر جاك بعنادٍ مُخيف «لا أعرف عمّا تتحدث. عليك أن..."

قال سبيدي، بلهجةٍ هادئة «لا. عليّ أن أنهي دوامة الخيل هذا الصباح يا جاك، هذا ما عليّ فعله، لا وقت لديّ لمزيد من العبث.. عليّ أن أعود، وعليك أن تنطلق. لا أستطيع إخبارك بالمزيد الآن. أظن أنني سأراك قريبًا. هنا... أو هناك."

"لكنني لا أعرف ماذا أفعل!" قال جاك بينما كان سبيدي يصعد إلى مقصورة الشاحنة القديمة.

"أنت تعرف ما يكفي لبتدأ،» قال سبيدي. «ستخطو إلى التعويذة يا جاك، ستجذبك إليها.»

"أنا لا أعرف حتى ماذا تكون التعويذة!»

ضحك سبيدي وضغط على مفتاح التشغيل، انطلقت الشاحنة مخلفة أنفجار قوى من العادم الأزرق، وصاح «ابحث عنها في القاموس!»، ثم رجع بالشاحنة إلى الخلف.

تراجع، استدار، ثم انطلق بالشاحنة عائدًا إلى أركاديا فن وورلد، وقف جاك على الرصيف يراقبه وهو يمضي، لم يشعر بمثل هذه الوحدة في حياته من قبل.

الفصل الخامس

جاك وليلي

١

عندما انحرفت شاحنة سبيدي عن الطريق واختفت تحت قوس عالم المرح، بدأ جاك بالتحرك نحو الفندق. فندق التعويذة. في القصر الأحمر الآخر على حافة المحيط الآخر، بدا قلبه فارغًا.. بدون سبيدي بجانبه، كانت المهمة شاقة، ثقيلة؛ غامضة أيضًا...

بينما كان سبيدي يتحدث، شعر جاك وكأنه يفهم تقريبًا خليط التلميحات والتهديدات والتعليمات، الآن أصبح الأمر أقرب إلى مجرد خليط أنيق قد يدعو للسخرية. على كل حال الأراضي حقيقية، تعلق بهذا اليقين قدر استطاعته، فدفئه وأثلج صدره في آن واحد.

كانت مكانًا حقيقيًا، وكان ذاهبًا إلى هناك مرة أخرى.. حتى لو لم يفهم كل شيء بعد، حتى لو كان حاجًا جاهلًا، فسوف يذهب في جميع الأحوال...

اكل ما كان عليه فعله هو محاولة إقناع والدته.. "التعويذة"، قالها لنفسه، مستخدمًا الكلمة كمحض شيء، وعبر شارع بورووك الخالي ثم قفز صاعدًا الدرج إلى الممر بين السياج.

أفزعه ظلام قصر الحمراء الداخلي، بعد أن انغلق الباب

الكبير، استحالت الردهة لكهفًا عيقًا يحتاج نارً لتبين الظلال، ومض الموظف الشاحب خلف مكتبه الطويل، يطعن جاك بعينيه البيضاوين. أتقصدني.. نعم. ابتلع جاك ريقه واستدار ومضى، زادته المواجهة قوة، وعظمت من شأنه، رغم أن نية الآخر كانت ازدراءه فحسب..

اتجه نحو المصاعد بظهر مستقيم وخطوة متأنية.

تتسكع مع السود، هاه؟ دعهم يضعون أذرعهم حولك، هاه؟

دوى المصعد كطائر ضخم ثقيل، وانفتحت الأبواب، ثم دخل جاك، استدار ليضغط على الزر المتوهج الذي يحمل الرقم 4، كان الموظف لا يزال واقفًا بشكل شبحي خلف المكتب، يرسل رسائله الغبيه.. عاشق الزنوج عاشق الزنوج عاشق الزنوج (هل أعجبك هذا، أيها الوغد؟ حار وأسود، هذا لك، هاه؟).

أغلقت الأبواب برحمة بعدما أدرك جاك مشاعره تجاهه، وارتفع المصعد.

بقيت الكراهية في الردهة.. حتى هواء المصعد أصبح أفضل حالًا بعد أن ارتفع فوق الطابق الأول.

الآن، كل ما على جاك فعله هو إخبار والدته أنه مضطر للذهاب إلى كاليفورنيا بمفرده.

فقط لا تدع العم مورغان يجعلك توقع على أي أوراق.

عندما خرج جاك من المصعد، تساءل لأول مرة في حياته عما إذا كان ريتشارد سلوت يفهم حقيقة والده.

٢

أسفل الجداريات الفارغة ولوحات القوارب الصغيرة التي تبحر عبر البحار الرغوية المتموجة، كان الباب المكتوب عليه 408 مائلًا إلى الداخل، كاشفًا عن مسافة قدم من سجادة الجناح الباهتة. انعكس ضوء الشمس من خلف نوافذ غرفة المعيشة مستطيلًا طويلًا على صفحة الجدار الداخلي.

نادى جاك وهو يدخل الجناح «مرحبًا يا أمي. لم تغلقي الباب، ما المناسبة؟»

وجد نفسه وحيدًا داخل الغرفة فقال محدثًا الأثاث! «فكرة؟» «أمي؟» بدا الفوضى تتسرب إلى الغرفة المرتبة، كمنفضة السجائر الممتلئة، والكوب النصف ممتلئ بالماء، المتروك على طاولة القهوة.

هذه المرة، وعد جاك نفسه، أنه لن يفزع.

دار في بخطوات بطيئة، كان باب غرفة نومها مفتوحًا، والغرفة نفسها مظلمة مثل الردهة لأن ليلي لا تفتح الستائر أبدًا.

"مرحبًا، أعلم أنكِ هنا"، قال، ثم دخل غرفتها الفارغة ليطرق باب حمامها. لم تُجب. فتح جاك الباب فرأى فرشاة أسنان وردية بجانب المغسلة، وفرشاة شعر مهملة على منضدة الزينة، شعيرات الفرشاة تتشابك مع شعيرات خفيفة..

"لورا ديلوسيان"، عليَ صوت في ذهن جاك، وتراجع خارج الحمام الصغير بعدما آلمه الاسم.

"أوه، ليس مجددًا"، تساءل في نفسه.. «أين ذهبت؟»

لكنه كان قد بدأ فعليًا يرى ما حدث...

رآه وهو يدخل غرفة نومه، رآه وهو يفتح بابه وينظر إلى سريره المُجعّد، وحقيبته المُفرّغة، وكومة كتبه الورقية الصغيرة، وجواربه المُكوّرة فوق الخزانة، رآه عندما بحث في حمامه، حيث كانت المناشف مُبعثرة على الأرض، وجانب حوض الاستحمام، وعلى طاولات الفورميكا.

مورغان سلوت يدفع الباب، مُمسكًا بذراع والدته ويجرّها إلى الطابق السفلي...

عاد جاك مسرعًا إلى غرفة المعيشة، وهذه المرة بحث خلف الأريكة.

سحبها من باب جانبي ودفعها إلى داخل سيارة، وبدأت عيناه تصفرّ...

رفع سماعة الهاتف وضغط على صفر.. «أنا، آه، جاك سوير، وأنا في، آه، الغرفة رقم أربعمائة وثمانية. هل تركت لي أمي أي رسالة؟" كان من المفترض أن تكون هنا و... ولسببٍ ما... آه...'

'سأتحقق،' ردت الفتاة، وأمسك جاك بالهاتف للحظةٍ خانقة حتى عادت. 'لا توجد رسالة في الساعة الرابعة والنصف،

آسفة.'

'ماذا عن الساعة الرابعة والنصف؟'

ردت الفتاة 'هذا هو نفس الموعد،'

'آه، هل جاء أي زوار خلال النصف ساعة الماضية أو نحو ذلك؟ هل حضر أحدٌ هذا الصباح؟ لرؤيتها، أعني.'

قالت الفتاة «هذا قسم الاستقبال.. لا أعرف.. هل تريدني أن أتحقق لك؟».

قال جاك «من فضلك».

ردت «أوه، أنا سعيدة بوجود شيء أفعله في هذه المشرحة.. ابقَ على الخط».

لحظة حرجة أخرى.. عندما عادت إليه، أخبرته «لا زوار. ربما تركت رسالة في مكان ما في غرفتكما».

رد جاك بحزن "أجل، سأتحقق"، وأغلق الخط.

هل أخبرته الموظفة بالحقيقة؟ أم أن مورغان سلوت نقدها بعشرين دولار؟

هذا أيضًا ما رآه جاك...

ألقى بنفسه على الأريكة، محاولًا كبت رغبةً لا معقولة في البحث تحت الوسائد. بالطبع، لم يكن بإمكان العم مورغان أن يأتي إلى الغرفة ويختطفها، فهو لا يزال في كاليفورنيا.. لكن كان بإمكانه إرسال أشخاص آخرين للقيام بذلك نيابةً عنه.

أولئك الذين ذكرهم سبيدي، الغرباء الذين لهم قدمٌ في كل عالم.

لم يعد بإمكان جاك البقاء في الغرفة...

ترك الأريكة عائدًا إلى الممر، وأغلق الباب خلفه.

بعدما سار بضع خطوات في الردهة، استدار في منتصف الطريق وعاد، وفتح الباب بمفتاحه الخاص. دفع الباب بوصةً واحدةً إلى الداخل، ثم هرول عائدًا نحو المصاعد. ربما تكون قد خرجت بدون مفتاحها إلى المتجر في الردهة، أو إلى كشك الجرائد لشراء مجلة أو صحيفة.

هو متأكد أنه لم يرها تلتقط جريدة منذ بداية الصيف فكل الأخبار التي تهتم بها تأتي عبر راديو داخلي.

إذن، ربما خرجت في نزهة.

نعم، في الخارج تمارس الرياضة وتتنفس بعمق.

أو ربما تركض، ربما انخرطت ليلي كافانو فجأة في سباق المائة ياردة.

لقد نصبت حواجز على الشاطئ وكانت تتدرب للألعاب الأولمبية القادمة.

عندما أنزله المصعد في الردهة، ألقى نظرة خاطفة على المتجر، حيث كانت امرأة شقراء عجوز تقف خلف منضدة تحدق فيه من فوق نظارتها حولها حيوانات محشوة، كومة

صغيرة من الصحف الرقيقة، رف عرض لمنتجات الشفاه بنكهات مختلفة. كانت مجلتا «بيبول» و«أس» و«نيو هامبشاير» معروضين في جيوب حامل الحائط.

"آسف" قالها جاك ثم استدار مبتعدًا

وجد نفسه يحدق في اللوحة البرونزية بجانب نبات السرخس الضخم بإحباط مريض فاقد الأمل وسيموت قريبًا...

تنحنحت سيدة المتجر، ظنّ جاك أنه لا بد أنه كان يحدّق في كلمات دانيال ويبستر تلك لدقائق طويلة.. ثم حدثته من خلفه «نعم؟».

كرر جاك «آسف»، وسحب نفسه إلى وسط الردهة.

رفع الموظف البغيض حاجبه، ثم استدار جانبًا لينظر إلى درج مهجور، أجبر جاك نفسه على الاقتراب من الرجل.

ثم وقف أمام مكتبه مناديًا «سيدي»، ظل الموظف يتظاهر بأنه يحاول تذكر عاصمة ولاية كارولينا الشمالية أو أهم سلعة تصدرها بيروا «سيدي»، قطب الرجل حاجبيه، لقد كان على وشك الوصول، لا يمكن إزعاجه.

كان كل هذا تمثيلًا، كما علم جاك، الذي قال «أتساءل إن كان بإمكانك مساعدتي».

قرر الرجل أن ينظر إليه في النهاية.. «يعتمد الأمر على نوع المساعدة يا بني».

قرر جاك عمدًا تجاهل سخريته الخفية، "هل رأيتَ أمي تخرج منذ قليل؟"

"ما معنى قليل؟" الآن بدت السخرية واضحة للعيان.

"هل رأيتها تخرج؟ هذا كل ما أسأله."

"أتخشى أن تراك أنت وحبيبك تمسكان بأيدي بعضكما البعض هناك؟»

اندهش جاك.. وردد داخل نفسه "يا إلهي، كم أنت غريب الأطوار".

"لا، لستُ خائفًا من ذلك. أنا فقط أتساءل إن كانت قد خرجت، ولو لم تكن غريب الأطوار، لكنتَ أخبرتني." احتقن وجهه، وأدرك أنه على وشك لكمه.

قال الموظف وهو ينحرف نحو أكوام مفاتيح الحُجُر خلفه «حسنًا، لقد خرجت، لكن من الأفضل أن تنتبه لكلامك يا بني.. يُحسن أن تعتذر لي أيها السيد سوير الصغير الأنيق لديّ عيون أيضًا، أعرف أشياءً كثيرة.»

قال جاك وهو يستعيد العبارة من إحدى تسجيلات والده القديمة "أنت حر فيما تقول وأنا حر فيما أفعل" ربما لم تكن تناسب الموقف تمامًا، لكنه شعر أنها مناسبة له، فطرف الموظف بشكل مُرضي.

قال الرجل بكآبة «ربما تكون في الحدائق، لا أعرف.»، لكن

جاك كان في طريقه إلى الباب.

رأى جاك فورًا أن محبوبة دور السينما وملكة أفلام الدرجة الثانية لم تكن في أي مكان في الحدائق الواسعة أمام الفندق، ولقد علم أنها لن تكون في الحدائق، لأنه حتما كان سيراها في طريقه إلى الفندق، علاوة على ذلك، لم تكن ليلي كافانا تتسكع في الحدائق.. فذلك لم يناسبها بقدر ما لم يناسبها وضع الحواجز على الشاطئ.

انطلقت بضع سيارات في شارع بوردووك، ونعق نورس من بعيد، فانقبض قلب جاك.

مرر الصبي أصابعه بين خصلات شعره ونظر إلى الشارع المضيء.. ربما ساقها فضولها تجاه سبيدي، أو ربما أرادت التحقق من هذا الصديق الجديد غير المعتاد لابنها، وذهبت إلى مدينة الملاهي، لكن جاك لم يستطع رؤيتها في عالم أركاديا الترفيهي أكثر مما استطاع رؤيتها وهي تتسكع في الحدائق بجمالها الأخّاذ..

استدار في اتجاه أقل ألفة، نحو حدود المدينة.

يفصله سياج كثيف مرتفع عن أرض قصر الحمراء.. متجر أركاديا للشاي والمربى، وهو الأول بين صف من المتاجر ذات الألوان الزاهية، كان هو ومتجر نيو إنجلاند للأدوية المتجرين الوحيدين في التراس اللذين ظلا مفتوحين بعد عيد العمال. تردد جاك للحظة على الرصيف المتشقق، كان وجود متجر

شاي، ناهيك عن المتاجر بشكل عام.. موضعًا غير متوقع لنجمة سينما السيارات، ولكن بما أنه كان أول مكان يرجح أن يجدها فيه، فقد عبر الرصيف ونظر من النافذة فرأى امرأة بشعرٍ دهني جالسة تُدخّن أمام ماكينة تسجيل المدفوعات النقدية، نادلةً ترتدي فستانًا ورديًا من الحرير الصناعيّ متكئةً على الجدار البعيد، ولم يرَ جاك أيّ زبائن..

ثمّ على إحدى الطاولات القريبة من قصر الحمراء في مؤخرة المتجر، رأى عجوزًا وحيدة دون صحبة ترفع نخبًا، راح جاك يراقب المرأة العجوز وهي تُعيد الكوب إلى الصحن برقة، ثمّ تُخرج سيجارةً من حقيبتها، وصدمه أنها والدته، بعد لحظات، تبخر انطباع الشيخوخة.

لكنه شعر وكأنه يراها من خلال نظارةٍ ثنائية البؤرة، يرى ليلي كافانو سوير وتلك المرأة العجوز الهشّة في جسدٍ واحد.

فتح جاك الباب برفق، ورغم ذلك أنطلق رنين الجرس الذي كان يعلم أنّه فوقها. أومأت المرأة الشقراء عند ماكينة التسجيل مبتسمةً. اعتدلت النادلة ومسّت ثنية فستانها. حدّقت به والدته بدهشةً حقيقية، ثمّ ابتسمت له ابتسامةً عريضة.

"حسنًا، يا جاك المتجول، أنت طويل جدًا لدرجة أنك كنت تشبه والدك تمامًا عندما دخلت من ذلك الباب،" قالت.. "أحيانًا أنسى أنك في الثانية عشرة من عمرك فقط."

٣

قال وهو يسحب كرسيًا ويجلس عليه: «لقد ناديتني بـ «جاك المتجول».

كان وجهها شاحبًا للغاية، وبدت البقع تحت عينيها ككدمات.

"ألم يناديك والدك بهذا الاسم؟ لقد تذكرت ذلك بالصدفة، فقد كنتِ تتجول منذ الصباح».

"هل ناداني بـ "جاك المتجول؟"

شيء من هذا القبيل... بالتأكيد فعل، عندما كنت صغيرًا "جاك المسافر،" قالت بحزم.. "هذا كل ما في الأمر كان يناديك جاك المسافر، كما تعلم، عندما كنا نراك تقطع العشب، كان الأمر مضحكًا، على ما أعتقد. بالمناسبة، تركت الباب مفتوحًا. لم أكن أعرف إن كنت قد تذكرت أن تأخذ مفتاحك معك."

"رأيت،" قال، ولا يزال يرتجف من المعلومة الجديدة التي أعطته إياها بعفوية.

"هل ترغب في تناول الفطور؟ لم أستطع تحمل فكرة تناول وجبة أخرى في ذلك الفندق.»

ظهرت النادلة بجانبهما، سألت وهي ترفع دفتر طلباتها "يا فتى؟"

"كيف عرفت أنني سأجدك هنا؟"

"أين يمكنني الذهاب غير ذلك؟" سألت والدته بعقلانية، وقالت للنادلة "أعطه فطور الثلاث نجوم إنه ينمو بوصة واحدة يوميًا."

اتكأ جاك على ظهر كرسيه.. كيف يمكنه أن يبدأ هذا؟

نظرت إليه أمه بفضول، وبدأ حديثه، كان عليه أن يبدأ الآن.. «أمي، إذا اضطررتُ للابتعاد لفترة، هل ستكونين بخير؟»

"ماذا تقصد بـ "بخير"؟ وماذا تقصد بـ "الابتعاد لفترة؟"

"هل يمكنك... أوه، هل ستواجهين مشكلة من العم مورغان؟»

"أستطيع التعامل مع سلوت العجوز"، قالت مبتسمةً بتوتر.. «أستطيع التعامل معه لفترة، على أي حال.. ما كل هذا يا جاكي؟ لن تذهب إلى أي مكان.»

"يجب عليّ ذلك"، قال.. "صدقيني." ثم أدرك أنه بدا كطفل يتوسل لعبة،

لحسن الحظ، وصلت النادلة ومعها خبز محمص على رف وكوب صغير من عصير الطماطم.

أشاح بنظره للحظة، وعندما نظر إلى الخلف، كانت أمه تفرد المربى من أحد الأواني على الطاولة على قطعة مثلثة من الخبز المحمص.

"يجب أن أذهب"، قال، أعطته أمه الخبز المحمص؛ وحركت وجهها مفكرة، لكنها لم تقل شيئًا.

"قد لا تريننى لفترة يا أمي"، قال.. «سأحاول مساعدتك، لهذا السبب يجب أن أذهب.»

"مساعدتي؟» سألت، وقدر جاك أن عدم تصديقها البارد كان حقيقيًا بنسبة خمسة وسبعين بالمائة.

رد، "أريد أن أحاول إنقاذ حياتك".

"هل هذا كل شيء؟"

"أستطيع فعل ذلك."

"يمكنك إنقاذ حياتي، هذا مسلٍ للغاية يا جاكي؛ يجب أن يُعرض على الشاشة الكبيرة يومًا ما. هل فكرت يومًا في دخول برمجة الشبكات؟»

تركت السكين الملطخة بالأحمر واتسعت عينيها بسخرية، ولكن تحت عدم الفهم المتعمد رأى شيئين.. نوبة هلع؛ أمل خافت وغير معترف به تقريبًا بأنه قد يكون قادرًا على فعل شيء ما في النهاية.

حتى لو قلتِ إنني لا أستطيع المحاولة، فسأفعلها على أي حال.. لذا من الأفضل أن تمنحيني الإذن.

يا لها من صفقة رائعة، وخاصة أنني لا أملك أي فكرة عما تتحدث عنه.

أعتقد أن لديكِ فكرة، أعتقد أن لديكِ فكرة يا أمي. لأن أبي كان سيعرف تمامًا ما أتحدث عنه.

احمرّت وجنتاها؛ أصبح فمها رقيقًا على شكل خط. «هذا ظلمٌ حقير يا جاكي. لا يمكنكِ استخدام ما قد يعرفه فيليب كسلاح ضدي.»

"ما كان يعرفه، وليس ما كان من الممكن أن يعرفه."

"كلامك هراء يا بني."

وضعت النادلة طبقًا من البيض المخفوق والبطاطس المقلية والنقانق أمام جاك، وتنهدت.

بعد أن غادرت النادلة، هزت والدته كتفيها. «لا يبدو أنني قادر على العثور على النغمة الصحيحة بسبب وجودنا هنا، لكن هذا الكلام الفارغ يبقى هراءً، على حد تعبير جيرترود شتاين."

"سأنقذ حياتكِ يا أمي،" كرر. «وعليّ أن أبتعد مسافة طويلة وأحضر شيئًا ما لأفعل ذلك. وهذا ما سأفعله.»

"أتمنى أن أعرف عما تتحدث."

إنها مجرد محادثة عادية، قال جاك لنفسه.. عادية مثل طلب الإذن بقضاء ليلتين في منزل صديق، ثم قطع نقانقًا إلى نصفين ووضع إحداهما في فمه، كانت تراقبه باهتمام.

مضغ جاك النقانق وابتلعها، ثم تناول شوكة من البيض،

ارتطمت زجاجة سبيدي بظهره كالصخرة.

"أتمنى أيضًا أن تتصرف وكأنك تسمع الكلمات الصغيرة التي أرسلها إليك، مهما بدت خافتة." ابتلع جاك البيض بثبات، ثم وضع قطعة من البطاطس المقرمشة المالحة في فمه.

جلست ليلى واضعة يديها على ركبتيها بانتباه. كلما صمت، كلما استمعت إليه عندما يتحدث. تظاهر بالتركيز على فطوره: بيض، نقانق، بطاطس، نقانق، بطاطس، بيض، بطاطس، بيض، نقانق، حتى شعر أنها على وشك الصراخ عليه.

"كان والدي يناديني جاك المسافر"، فكّر في نفسه.. هذا صحيح؛ هذا أقصى ما أستطيع أن أكون عليه.

"جاك..."

"أمي"، قال، "ألم يكن أبي يتصل بك من بعيد أحيانًا، وتعلمين أنه من المفترض أن يكون في المدينة؟» رفعت حاجبيها.

"وأحيانًا، ألم تدخلي غرفةً ما ظنًا منك أنه موجود، بل ربما كنتِ تعلمين بوجوده، لكنه لم يكن؟»

تركها تفكر في الأمر.

"لا،" قالت.

كلاهما ترك الإنكار يتلاشى.

"نادرًا ما يحدث."

"أمي، حتى هذا حدث لي،" قال جاك.

"لطالما كان هناك تفسير، كما تعلمين، كان موجودًا."

"والدي الذي تعرفينه لم يكن سيئًا أبدًا في شرح الأمور، وخاصةً الأمور التي لا يمكن تفسيرها حقًا.. كان بارعًا جدًا في ذلك، وهذا جزء من سبب كونه عميلًا بارعًا.»

الآن عادت إلى الصمت.

"حسنًا، أعرف أين كان يذهب،» قال جاك. «لقد كنت هناك بالفعل. كنت هناك هذا الصباح.»

وإذا عدت إلى هناك مرة أخرى، يُمكنني محاولة إنقاذ حياتك.

"حياتي لا تحتاجك لإنقاذها، ولا تحتاج لأحد لإنقاذها،» همست والدته، نظر إليها جاك بعدما اجتاحه الأسى.. «ماذا؟» وجّهت إليه نظرة حادة.

"أعتقد ذلك، كما قلت.» التقت عيناه بعينيها.

"يجب أن اسألك كيف تنوي انقاذ حياتي؟، كما ذكرتِ.»

"لا أستطيع الإجابة.. لأني لا أفهم الأمر جيدًا بعد، أمي، أنا لا أذهب إلى المدرسة على كل حال... امنحيني فرصة، قد أغيب أسبوعًا أو نحو ذلك.»

رفعت حاجبيها.

"قد يطول الأمر" اعترف..

"أعتقد أنك مجنون،" قالت، لكنه رأى أن جزءًا منها يريد تصديقه، وكلماتها التالية أثبتت ذلك.. "لو كنتُ مجنونة بما يكفي لأسمح لكِ بالذهاب في تلك المهمة الغامضة، أتؤكد لي إنك لن تكون في خطر».

أشار جاك قائلًا.. "أبي كان يعود دائمًا".

قالت.. "أفضّل أن أخاطر بحياتي على حياتك"، وهذه الحقيقة أيضًا ظلت عالقة بينهما لبرهة طويلة.

سأتصل عندما أستطيع.. لكن لا تقلقي إذا مرّ أسبوعان دون اتصالي سأعود أيضًا، كما كان أبي يفعل دائمًا.

ردت «هذا الأمر برمته جنوني، وايضًا أنا، كيف ستصل إلى هذا المكان الذي عليك الذهاب إليه؟ وأين هو؟ هل لديك ما يكفي من المال؟»

قال، آملًا ألا تُلحّ عليه في السؤالين الأولين.. «لديّ كل ما أحتاجه».

ساد الصمت بينهما، وأخيرًا قال.. «أعتقد أنني سأمشي في الغالب، لا أستطيع التحدث عن ذلك كثيرًا يا أمي».

قالت: «جاك المسافر. أكاد أصدق...».

قال جاك.. "نعم"، أومأ برأسه. وربما، فكّر.. "أنتِ تعرفين بعض ما تعرفه، الملكة الحقيقية، ولهذا السبب تتخلين عنها

بتلك السهولة." «هذا صحيح. أكاد أصدق أيضًا». هذا ما يجعله صحيحًا.

"حسنًا... بما أنك تقول إنك ستذهب مهما قلت..."

"سأفعل أيضًا."

"... إذًا أعتقد أن ما أقوله لا يهم."

نظرت إليه بشجاعة. «مع ذلك، يهم. أعرف. أريدك أن تعود إلى هنا بأسرع ما يمكن، يا بني. لن تذهب فورًا، أليس كذلك؟»

"يجب عليّ ذلك." تنهد بعمق. "نعم.. سأذهب فورًا. حالما أتركك.»

"كدت أصدق هذه الخدعة.؟ أنت ابن فيل سوير، حسنًا. لم تجد فتاة في هذا المكان، أليس كذلك...؟» نظرت إليه بحدة شديدة. «لا. لا فتاة. حسنًا. أنقذ حياتي. انصرف.» هزت رأسها، فظن أنه رأى بريقًا إضافيًا في عينيها. «إن كنتِ ستغادر، فاخرجي من هنا يا جاكي، اتصل بي غدًا.»

"إن استطعتُ." نهض.

"إن استطعتِ. بالطبع. سامحني." نظرت إلى العدم، فرأى الشتات في عينيها، نقاط حمراء تحترق في منتصف خديها.

انحنى جاك وقبّلها، لكنها لوّحت له بالانصراف.

حدّقت النادلة بهما كما لو كانا يُمثّلان مسرحية، على الرغم

مما قالته والدته للتو، ظنّ جاك أنه قد قلّل من مستوى عدم تصديقها إلى ما يقارب الخمسين بالمائة؛ مما يعني أنها لم تعد تعرف ما تُصدّقه.

دققت فيه النظر للحظات، فرأى بريقًا محمومًا يتوهج في عينيها من جديد. غضب؛ دموع؟ قالت: «اعتني بنفسك»، وأشارت للنادلة.

قال جاك.. «أحبك».

"لا تخطئ أبدًا في مثل هذا الكلام". الآن كادت تبتسم.. "سافر يا جاك. انطلق قبل أن أدرك مدى جنون هذا الأمر".

قال.. «لقد رحلت»، ثم استدار وخرج من المطعم. شعر بضيق في رأسه، كما لو أن عظام جمجمته كبرت جدًا على غطائها الجسدي. هاجم ضوء الشمس الأصفر الفارغ عينيه، سمع جاك صوت إغلاق باب مقهى أركاديا للشاي والمربى بعد لحظة من رنين الجرس الصغير. رمش، وركض عبر شارع بوردووك دون أن يبحث عن سيارات. عندما وصل إلى الرصيف على الجانب الآخر، أدرك أنه سيضطر للعودة إلى جناحهم لإحضار بعض الملابس. لم تكن والدته قد خرجت من المقهى بعد عندما فتح جاك الباب الأمامي الكبير للفندق.

تراجع موظف الاستقبال إلى الخلف وحدجه بنظرة عابسة. شعر جاك بانفعال يتصاعد من الرجل، لكنه لم يستطع للحظة أن يتذكر سبب رد فعل الموظف القوي لرؤيته. بدا أن

المحادثة مع والدته - التي كانت أقصر بكثير مما تخيل - قد استمرت لأيام. على الجانب الآخر من الهامش الواسع الذي قضاه في مقهى الشاي والمربى، وصف الموظف بالزاحف. هل يجب عليه الاعتذار؟ لم يعد يتذكر سبب غضبه من الموظف... وافقت والدته على ذهابه.. أذنت له بالذهاب، وبينما كان يسير وسط سيل من نظرات موظف الاستقبال، فهم أخيرًا السبب. لم يذكر التعويذة، ليس صراحةً، ولكن حتى لو فعل - لو تحدث عن الجانب الأكثر جنونًا في مهمته - لوافقت هي الأخرى. ولو قال إنه سيحضر فراشة بطول قدم ويشويها في الفرن، لوافقت على أكلها مشوية. لكان اتفاقًا ساخرًا، لكنه حقيقي. يُظهر هذا جزئيًا عمق خوفها من أن تتمسك بمثل تلك القشات.

لكنها ستتمسك لأنها، في مرحلة ما، كانت تعلم أنها ليست مجرد قشات، أذنت له والدته بالذهاب لأنها، في أعماقها، كانت هي الأخرى تعرف شيئًا عن الأراضي.

هل استيقظت يومًا في الليل واسم، لورا دي لويسيان، يتردد في ذهنها؟ في الأعلى بغرفة ٤٠٧ و٤٠٨، أخذ يُلقي الملابس في حقيبته بشكل عشوائي تقريبًا كل ما وجدته أصابعه في درج ولم يكن كبيرًا جدًا، وضعه فيها.. قمصان، جوارب، سترة، شورت جوكي- سروال داخلي ضيق- ،لفّ جاك بنطال جينز بني بإحكام وأدخله أيضًا؛ ثم أدرك أن الحقيبة أصبحت ثقيلة بشكل غير مريح، فأخرج معظم القمصان

والجوارب، والسترة أيضًا. في اللحظة الأخيرة، تذكر فرشاة أسنانه. ثم حزّك الأشرطة على كتفيه وشعر بها على ظهره ليست ثقيلة جدًا.

كان بإمكانه المشي طوال اليوم، حاملاً هذه الكيلوجرامات القليلة فقط.

وقف جاك صامتًا في غرفة معيشة الجناح للحظة، يشعر - بقوة غير متوقعة - بغياب أي شخص أو شيء يمكنه توديعه. لن تعود والدته إلى الجناح حتى تتأكد من رحيله.. إذا رأته الآن، ستأمره بالبقاء. لم يستطع توديع هذه الغرف الثلاث كما فعل مع منزل أحبه.. غرف الفنادق تقبل الرحيل بلا مشاعر...

في النهاية، توجه إلى لوحة الهاتف المطبوعة عليها رسمة للفندق، وعلى ورق رقيق كالقشرة، كتب بقلم قصر الحمراء الرفيع، الأسطر الثلاثة التي كانت معظم ما كان لديه ليقوله..

شكرًا

أحبك

وسأعود.

٤

سار جاك في شارع بوردووك تحت شمس الشمال الخافتة، متسائلاً أين يجب أن... يقفز؟ هذه هي الكلمة المناسبة.. وهل يجب عليه أن يرى سبيدي مرة أخرى قبل أن «يقفز" إلى الأراضي؟

كاد أن يتحدث إلى سبيدي مرة أخرى، لأنه لم يكن يعرف سوى القليل عن وجهته، ومن قد يلتقيه، وما الذي يبحث عنه، تبدو تمامًا ككرة بلورية.. هل كانت هذه كل التعليمات التي كان سبيدي ينوي إعطائها له عن التعويذة؟ هذا، والتحذير من عدم إسقاطها؟ كاد جاك أن يشعر بالغثيان من قلة تجهزه.. كما لو كان عليه اجتياز امتحان نهائي في دورة لم يحضرها قط.

شعر أيضًا أنه يستطيع القفز من حيث يقف، كان متلهفًا للبدء، للانطلاق، للتحرك. كان عليه أن يكون في الأراضي مرة أخرى، أدرك ذلك فجأة؛ في خضم عواطفه وشوقه، لمع ذلك الخيط ببراعة.. أراد أن يتنفس ذلك الهواء؛ كان متعطشًا له، نادته الأراضي، السهول الطويلة وسلاسل الجبال المنخفضة، وحقول الأعشاب الطويلة والجداول التي تتدفق عبرها، تاق جاك إلى تلك المناظر الطبيعية. وكاد أن يُخرج الزجاجة من جيبه ويبتلع رشفة من هذا العصير المريع في الحال لو لم يرَ صاحب الزجاجة السابق متكئًا على شجرة، واضعًا يديه على ركبتيه وبجانبه كيس بقالة بني، وفوق الكيس شطيرة ضخمة

تشبه نقانق الكبد والبصل.

قال سبيدي مبتسمًا له "ستتحرك الآن.. أرى أنك في طريقك، إنه الوداع إذًا؟ هل تعلم والدتك أنك لن تعود إلى المنزل قريبًا؟»

أومأ جاك بالإيجاب، ورفع سبيدي الشطيرة.. «هل أنت جائع؟ هذه، إنها كثيرة عليّ.»

رد الصبي «لقد تناولت شيئًا ما.. أنا سعيد لأنني أستطيع توديعك.»

قال سبيدي وهو يهز رأسه الطويل جانبًا "جاك العجوز على نار، إنه متشوق للرحيل. هيا يا فتى، تحرك.»

"سبيدي؟"

"لكن لا تغادر بدون بعض الأشياء الصغيرة التي أحضرتها لك.. لقد أحضرتها هنا في هذه الحقيبة، هل تريد أن تراها؟»

"سبيدي؟" حدّق الرجل في جاك من أسفل الشجرة.

"هل تعلم أن والدي كان يناديني بجاك المسافر؟"

"هل تعلم أن والدي كان يناديني بجاك المسافر؟" قال سبيدي مبتسمًا "أوه، ربما سمعتُ ذلك في مكانٍ ما.. تعالَ إلى هنا وانظر ماذا أحضرتُ لك، بالإضافة إلى ذلك، عليّ أن أخبرك أين تذهب أولًا، أليس كذلك؟».

شعر جاك بالارتياح، وسار عبر الرصيف إلى شجرة سبيدي.

وضع الرجل العجوز شطيرته في حجره وقرب الحقيبة إليه، قال سبيدي «عيد ميلاد سعيد»، وأخرج كتابًا قديمًا طويلًا متهالكًا، رأى جاك أنه أطلس طرق قديم من راند ماكنالي(4)، قال جاك وهو يأخذ الكتاب من يد سبيدي الممدودة: «شكرًا».

لا توجد خرائط هناك، لذا التزم قدر الإمكان بالطرق في راند ماكنالي القديمة.. بهذه الطريقة ستصل إلى وجهتك.

"حسنًا،" قالها جاك، وخلع حقيبة ظهره ليضع الكتاب الكبير بداخلها.

"الشيء التالي الذي لا داعي لوضعه في تلك الحقيبة الفاخرة التي تحملها على ظهرك،" قال سبيدي.. ووضع الشطيرة في الكيس الورقي المسطح ووقف بحركة طويلة وسلسة. «بل، يمكنك حملها في جيبك.» وغمس أصابعه في الجيب الأيسر لقميص عمله، شيء ما ظهر، مشدودًا بين إصبعيه الثاني والثالث كأحد تماثيل ليلي، كان شيئًا أبيض مثلث الشكل استغرق الصبي لحظة ليتعرف عليه.. أنه ريشة غيتار. «خذ هذا واحتفظ به.. سترغب في عرضه على رجل سيساعدك.»

قلب جاك المِغلَق بين أصابعه. لم يرَ قطّاً مثله من العاج، بزخارفه الدقيقة وأنماطه المتعرجة بخطوط مائلة كنوع من الكتابة الغريبة.. جميلٌ في ظاهره، يكاد يكون ثقيلاً جداً ليكون عِلَقَةَ إصبع مفيدة.

"من الرجل؟" سأل جاك، ثم وضع المِغلَق في أحد جيوب بنطاله.

"لديه ندبة كبيرة على وجهه، ستراه قريباً بعد وصولك إلى الأراضي.. إنه حارس، في الحقيقة، إنه قائد الحرس الخارجي، وسيأخذك إلى مكان يمكنك فيه رؤية سيدة يجب عليك رؤيتها.. حسناً، سيدة ينبغي أن تراها. كي تعرف السبب الآخر الذي يجعلك تُخاطر بحياتك.. وصديقي هناك، سيفهم ما تفعله وسيجد طريقة لإيصالك إلى السيدة.»

"هذه السيدة..." بدأ جاك.. قال سبيدي: «أجل، فهمت.»

"إنها الملكة."

"أنظر إليها جيدًا يا جاك. ستدرك ما تراه عندما تراها. ستدرك حقيقتها، فهمت؟ ثم أنطلق نحو الغرب." وقف سبيدي يفحصه بجدية، وكأنه يشك الآن في أنه سيرى جاك سوير مرة أخرى، ثم ارتعشت تجاعيد وجهه وقال "ابتعد عن بلوت العجوز. انتبه لآثاره... آثاره وآثار توأمه. يستطيع بلوت العجوز أن يكتشف أين ذهبت إن لم تكن حذرًا، وإن اكتشف فسيلاحقك كما يلاحق الثعلب أوزة.» وضع سبيدي يديه في جيوبه ونظر إلى جاك مرة أخرى، وكأنه يتمنى لو كان لديه المزيد ليقوله.

"خذ التعويذة يا بني"، اختتم حديثه. "خذها وأعدها سالمًا. ستكون عبئًا عليك، لكن عليك أن تكون أكبر من عبئك."

كان جاك منشغلًا بما يقوله له سبيدي لدرجة أنه حدّق في وجه الرجل المُشَقَّق. رجلٌ ذو ندوب، قائد الحرس الخارجي، الملكة، مورغان سلوت الذي يطارده كحيوان مفترس.. في مكانٍ شرير على الجانب الآخر من البلاد..عبء.. «حسنًا»، قالها فجأة، متمنيًا لو عاد إلى متجر الشاي والمربى مع والدته.

ابتسم سبيدي ابتسامةً خشنةً دافئة.. «أجل يا بوب. جاك المسافر الأول بخير.» ازدادت ابتسامته عمقًا.. "حان وقت احتساء ذلك العصير المميز، ألا تعتقد ذلك؟"

"أعتقد ذلك"، قالها جاك وأخرج الزجاجة الداكنة من جيبه وفتح الغطاء، نظر إلى سبيدي، الذي انغرزت عيناه الشاحبتان في عينيه.. «سبيدي سيساعدك متى استطاع.» أومأ جاك، ورمش، ثم رفع عنق الزجاجة إلى فمه، كادت الرائحة العفنة الحلوة التي انبعثت من الزجاجة أن تُغلق حلقه في تشنج لا إرادي.. رفع الزجاجة، فاجتاحت الرائحة فمه، انقبضت معدته، ابتلع، فانسكب سائل خشن حارق في حلقه...

قبل ثوانٍ طويلة من أن يفتح جاك عينيه، أدرك من ثراء وصفاء الروائح المحيطة به أنه قد غرق في عالم الأراضي. خيول، عشب، رائحة مُذهلة للحوم النيئة؛ غبار؛ والهواء النقي نفسه.

فاصل
سلوت في هذا العالم (أنا)

ذات مساء.. قال مورغان سلوت لابنه ريتشارد «أعلم أنني أعمل بجد».

كانا يتحدثان عبر الهاتف، ريتشارد يقف عند الهاتف المشترك في ممر الطابق السفلي من سكنه، ووالده جالس على مكتبه في الطابق العلوي من إحدى أولى وأروع صفقات سوير وسلوت العقارية في بيفرلي هيلز، «لكنني أقول لك يا بني، هناك أوقات كثيرة يتعين عليك فيها القيام بشيء ما بنفسك لإنجازه على أكمل وجه. خاصةً عندما تكون عائلة شريكي الراحل متورطة.. إنها مجرد رحلة قصيرة، آمل ذلك.. ربما سأنتهي من كل شيء هناك في نيو هامبشاير اللعينة في أقل من أسبوع، سأتصل بك مرة أخرى عندما ينتهي كل شيء، ربما نسافر عبر السكك الحديدية في كاليفورنيا، كما في الأيام الخوالي.. ستتحقق العدالة.. ثق بوالدك."

كانت صفقة المبنى رائعة بشكل خاص بفضل استعداد سلوت للقيام بالأمور بنفسه. بعد أن تفاوض هو وسوير على شراء عقد إيجار قصير الأجل، ثم (بعد وابل من الدعاوى القضائية) عقد إيجار طويل الأجل، حددا أسعار الإيجار عند مبلغ محدد للقدم المربع، وأجريا التعديلات اللازمة، وأعلنا عن حاجتهم لمستأجرين جدد. المستأجر الوحيد المتبقي هو

المطعم الصيني في الطابق الأرضي، الذي يدفع إيجارًا زهيدًا يقارب ثلث قيمة المكان.. حاول سلوت إجراء مناقشات معقولة مع الصينيين، لكن عندما رأوا أنه يحاول إقناعهم بدفع إيجار أعلى، فقدوا فجأة القدرة على التحدث أو فهم الإنجليزية.. تعثرت محاولات سلوت في التفاوض لبضعة أيام، ثم رأى بالصدفة أحد عمال المطبخ يحمل دلوًا من الشحم من الباب الخلفي للمطبخ، ثم شعر سلوت بتحسن، تبع الرجل إلى طريق مسدود مظلم وضيق، وشاهده وهو يلقي الشحم في سلة المهملات، لم يكن بحاجة إلى أكثر من ذلك.. بعد يوم، سياج شبكي أحاط بالمطعم وفصله عن الطريق؛ وبعد يوم آخر، قدّم مفتش من وزارة الصحة شكوى واستدعاءً للصينيين.. الآن، اضطرت عاملة المطبخ إلى إخراج جميع نفاياتهم، بما فيها الشحم، عبر منطقة تناول الطعام وصولاً إلى ممر الكلاب الشبكي الذي بناه سلوت بجانب المطعم. تراجعت المبيعات، اشتم الزبائن روائح غريبة وكريهة من القمامة القريبة.. استعاد أصحاب المطعم لغتهم الإنجليزية، وتطوّعوا لمضاعفة قسطهم الشهري، ردّ سلوت بخطابٍ أبدى فيه امتنان، دون أن يقول شيئًا. وفي تلك الليلة، بعد أن كافئ نفسه بثلاثة كؤوس مارتيني كبيرة، انطلق سلوت من منزله إلى المطعم، وأخذ مضرب بيسبول من صندوق سيارته وحطّم النافذة الطويلة التي كانت تُطلّ في السابق على منظر خلاب للشارع، لكنها الآن تُطلّ على ممرّ سياج ينتهي بمجموعة من الصناديق المعدنية.

لقد فعل تلك الأشياء... لكنه لم يكن سلوت تمامًا عندما فعلها.

في صباح اليوم التالي، طلب الصينيون اجتماعًا آخر، وعرضوا هذه المرة مضاعفة أجرهم أربع مرات. قال سلوت للصيني ذي الوجه الجامد «أنت تتحدث كرجل. سأخبرك بشيء! فقط لإثبات أننا جميعًا في فريق واحد، سندفع نصف تكلفة استبدال نافذتك.»

في غضون تسعة أشهر من استحواذ شركة سوير وسلوت على المبنى، ارتفعت جميع الإيجارات بشكل كبير وبدأت توقعات التكلفة والأرباح الأولية تبدو متشائمة للغاية بحلول هذا الوقت، كان هذا المبنى أحد مشاريع سوير وسلوت الأكثر تواضعًا، لكن مورغان سلوت كان فخورًا به بقدر فخره بالهياكل الجديدة الضخمة التي أقاموها في وسط المدينة.

مجرد المرور بالمكان الذي وضع فيه السياج أثناء دخوله إلى العمل في الصباح ذكّره - يوميًا - بمدى مساهمته في شركة سوير وسلوت، ومدى معقولية ادعاءاته!

شعوره برغبته في العدالة أشعل أعتى رغباته بداخله وهو يتحدث إلى ريتشارد... ففي النهاية، كان ريتشارد هو من أراد الاستحواذ على حصة فيل سوير في الشركة. عنى ريتشارد الخلود بالنسبة له، سيتمكن ابنه من الالتحاق بأفضل كليات إدارة الأعمال ثم الحصول على شهادة في القانون قبل انضمامه إلى الشركة؛ وهكذا، مُجهزًا بالكامل، سيحمل

ريتشارد سلوت جميع آلات سوير وسلوت المعقدة والدقيقة إلى القرن التالي.. لم يصمد طموح الصبي السخيف في أن يصبح كيميائيًا طويلًا أمام إصرار والده على القضاء عليه، كان ريتشارد ذكيًا بما يكفي ليرى أن ما فعله والده كان أكثر إثارة للاهتمام بكثير، ناهيك عن كونه أكثر ربحًا، من العمل باستخدام أنبوب اختبار فوق موقد بنسن.. ستتلاشى تلك المهنة «الكيميائية البحثية» بسرعة كبيرة، بمجرد أن يلمح الصبي العالم الحقيقي، وإذا كان ريتشارد حريصًا على الإنصاف مع جاك سوير، فيمكن جعله يفهم أن خمسين ألفًا سنويًا وضمان التعليم الجامعي ليسا عادلين فحسب، بل وكريمين.. أميري.. من يستطيع أن يقول إن جاك يرغب في العمل بأي شكل من الأشكال على أي حال، أو أنه يمتلك أي موهبة لذلك؟

إلى جانب أن الحوادث تقع.. من يستطيع حتى أن يقول إن جاك سوير سيعيش ليرى العشرين؟ قال سلوت لابنه «حسنًا، الأمر يتعلق بترتيب جميع الأوراق، وجميع أمور الملكية، وتسويتها نهائيًا، ليلي اختبأت عني طويلًا جدًا، عقلها الآن أصبح هشًا للغاية، صدقني.. ربما لم يتبقَّ لها من الحياة سوى أقل من عام.. لذا، إن لم أهرع لرؤيتها الآن بعد أن حاصرتها، فقد تماطل طويلًا بما يكفي لوضع كل شيء في وصية، أو في صندوق ائتمان، ولا أعتقد أن والدة صديقك ستسمح لي بإدارته. مهلاً، لا أريد أن أثقل عليك بمشاكلي. أردت فقط أن أخبرك أنني لن أكون في المنزل لبضعة أيام، في حال اتصلت..

أرسل لي رسالة أو ما شابه، وتذكر أمر القطار، حسنًا؟ علينا أن نفعل ذلك مرة أخرى.»

وعد الصبي بالكتابة، والعمل بجد، وألا يقلق بشأن والده أو ليلي كافانو أو جاك. وفي وقت ما عندما كان هذا الابن المطيع، على سبيل المثال، في سنته الأخيرة في جامعة ستانفورد أو ييل، كان سلوت يُعرّفه على الأراضي. كان ريتشارد أصغر بست أو سبع سنوات مما كان عليه عندما كان فيل سوير، وهو في غاية السعادة على العشب في مكتبهما الصغير الأول في شمال هوليوود، قد حيّره في البداية، ثم أغضبه (لأن سلوت كان متأكدًا من أن فيل يضحك عليه)، ثم أثار فضول شريكه (لأن فيل كان ثملًا جدًا لدرجة أنه لم يخترع كل هذا الهراء من الخيال العلمي عن عالم آخر)، وعندما رأى ريتشارد الأراضي، كان ذلك هو الأمر، لو لم يفعل ذلك بنفسه، لكانوا قد غيروا رأيه من أجله.. حتى نظرة خاطفة صغيرة على الأراضي تهز ثقتك في علم العلماء بكل شيء، مرر سلوت راحة يده على قمة رأسه اللامعة، ثم لمس شاربه ببراعة.. كان صوت ابنه يُعزيه بشكلٍ غامضٍ وغير ذي صلة.. ما دام ريتشارد يسير على خطاه بأدب، فكل شيءٍ على ما يُرام، وكل شيءٍ على ما يُرام، وكل شيءٍ على ما يُرام...

حلّ الليل في سبرينغفيلد، إلينوي، وفي نيلسون هاوس، مدرسة ثاير، كان ريتشارد سلوت يسير في ممرٍّ أخضر عائدًا إلى مكتبه، ربما يفكر في الأوقات الجميلة التي قضوها،

والتي سيقضونها مجددًا، على متن قطار مورغان الصغير على ساحل كاليفورنيا. سيكون نائمًا عندما تُعاقب طائرة والده النفاثة الهواء العاصف في الأعلى، وعلى بُعد مئات الأميال شمالًا؛ لكن مورغان سلوت سيدفع جانبًا اللوحة فوق نافذة درجته الأولى، وينظر إلى الأسفل، آملًا في ضوء القمر وانقشاع الغيوم.

أراد العودة إلى المنزل على الفور، كان المنزل على بعد ثلاثين دقيقة فقط من المكتب، حتى يتمكن من تغيير ملابسه والحصول على شيء يأكله، وربما يستنشق القليل من الكوكايين، قبل أن يضطر إلى الوصول إلى المطار. ولكن بدلاً من ذلك، كان عليه أن يشق طريقه على طول الطريق السريع إلى المارينا.. موعد مع عميل أصيب بالذعر وكان على وشك أن يُطرد من الصورة، ثم اجتماع مع حشد من المفسدين الذين زعموا أن مشروع سوير وسلوت بالقرب من مارينا ديل راي كان يلوث الشاطئ.. أشياء لا يمكن تأجيلها، على الرغم من أن سلوت وعد نفسه أنه بمجرد أن يعتني بليلي كافانو وابنها، سيبدأ في إسقاط العملاء من قائمته.. إلا أنه لديه سمكة أكبر بكثير ليقليها الآن...

الآن هناك عوالم كاملة للوساطة، ولن تكون حصته من العمل مجرد عشرة بالمائة. بالنظر إلى الوراء، لم يكن سلوت متأكدًا من كيفية تحمله لفيل سوير طوال تلك المدة.. لم يلعب شريكه للفوز أبدًا، ليس بجدية؛ لقد كان مثقلًا بالمفاهيم

العاطفية عن الولاء والشرف، وأفسدته الأشياء التي قيلت للأطفال كي تجعلهم متحضرين إلى حد ما قبل أن تمزق العصابة عن أعينهم أخيرًا، قد يبدو الأمر عاديًا في ضوء المخاطر التي يخوضها الآن، إلا أنه لم يستطع أن ينسى أن آل سويرز مدينون له، حسنًا.. فقد تمدد عسر الهضم حتى صدره فشعر بمثل نوبة قلبية عند التفكير في المبلغ، وقبل أن يصل إلى سيارته في ساحة الانتظار المشمسة بجانب المبنى، دفع يده في جيب سترته وأخرج علبة مجعدة من مضاد الحموضة.. لقد قلل فيل سوير من شأنه، ولا يزال ذلك يثير غضبه. لأن فيل كان يعتقد أنه نوع من الأفعى الجرسية المدربة التي لا يُسمح لها بالخروج من قفصها إلا في ظروف خاضعة للرقابة، وكذلك فعل الآخرون.. كان عامل الساحة، وهو ريفي يرتدي قبعة رعاة بقر ممزقة، يراقبه وهو يسير حول سيارته الصغيرة، باحثًا عن الخدوش والضربات. أذاب مضاد الحموضة معظم الكرة النارية في صدره، شعر سلوت بياقة قميصه تتعرق.. كان الموظف يعلم أنه من الأفضل ألا يحاول التقرب من سلوت الذي سلخ جلد الرجل لفظيًا قبل أسابيع، بعد أن اكتشف تجعدًا صغيرًا في باب سيارة بي إم دبليو.. في خضم حديثه، رأى العنف يبدأ في التكاثف في عيني الرجل الريفي الخضراوين، ودفعته موجة مفاجئة من الفرح إلى الاقتراب من الرجل، يم يزل يسلخ جلده، على أمل أن يعضه الموظف.. وفجأة فقد الرجل الريفي زخمه، وأشار بضعف، بل باعتذار، عن ذلك الشيء الصغير ربما جاء من

مكان آخر؟ خدمة ركن السيارات في مطعم، ربما؟ الطريقة التي يعامل بها هؤلاء الحمقى السيارات، كما تعلم، والضوء ليس جيدًا في تلك الليلة، لماذا... قال سلوت «أغلق فمك النتن». هذا الشيء الصغير، كما تسمونه، سيكلفني ضعف ما تكسبونه أسبوعيًا.

علي طردك الآن يا راعي البقر، والسبب الوحيد لعدم قيامي بذلك هو احتمال 2% تقريبًا أن تكون محقًا؛ عندما خرجت من منزل تشايسن الليلة الماضية، ربما لم أنظر تحت مقبض الباب، ربما فعلتُ وربما لم أفعل، لكن إذا تحدثت معي مرة أخرى، إذا قلتَ أكثر من «مرحبًا سيد سلوت» أو «وداعًا سيد سلوت»، فسأطردك بسرعة حتى تظن أن رأسك قُطعت.."

راقبه الرجل الريفي وهو يتفقد سيارته، مدركًا أنه إذا وجد سلوت أي عيب في تشطيب السيارة، فسيُنزل الفأس، خائفًا حتى من الاقتراب بما يكفي ليقول الوداع التقليدي.. في بعض الأوقات، من النافذة المطلة على موقف السيارات، يشاهد سلوت الموظف يمسح بغضبٍ بعض العيوب، سواءً كانت فضلات طيور أو بقع طين، عن غطاء محرك سيارة بي إم دبليو. وهذه هي الإدارة يا صديقي.

عندما خرج من الموقف، نظر في مرآة الرؤية الخلفية فرأى على وجه ذلك الرجل الريفي تعبيرًا يُشبه إلى حد كبير آخر تعبير ارتسم على وجه فيل سوير في اللحظات الأخيرة من حياته، في مكانٍ ناءٍ في ولاية يوتا، ابتسم طوال الطريق

حتى وصل إلى الطريق السريع.

استخف فيليب سوير بمورغان سلوت منذ لقائهما الأول، عندما كانا طالبين جديدين في جامعة ييل، ربما كان من السهل، كما فكّر سلوت، الاستخفاف به.. شابٌ ممتلئ الجسم في الثامنة عشرة من عمره من أكرون، قليل الحياء، مُثقلٌ بالقلق والطموحات، غادر أوهايو لأول مرة في حياته. كان يستمع إلى زملائه في الصف وهم يتحدثون بسهولة عن نيويورك، وعن فيلم «21» ونادي ستورك، وعن رؤيته لبروبيك في شارع باسين وإرول غارنر في فانجارد، وكان يتعرق ليخفي جهله. ويقول ببساطة «أحب منطقة وسط المدينة حقًا». راحتا يديه مبللتان، متشنجتان بأصابع ملتفة.. (في الصباح، كان سلوت يجد راحتيه موشومتين بكدمات غائرة خلفتها أظافره).

سأله توم وودباين «أي منطقة وسط المدينة يا مورغان؟» ضحك الآخرون.. «أنت تعرف، برودواي والقرية. هناك.» ضحكوا أكثر، لكن الأكثر قسوة كونه غير جذاب وملابسه رديئة؛ تتكون خزانة ملابسه من بدلتين، كلاهما رماديتان داكنتان، وكلاهما على ما يبدو مناسبتان لرجل ذي أكتاف فزاعة، بدأ يفقد شعره في المدرسة الثانوية، وظهرت بقع وردية على فروة رأسه من خلال خصلات شعره القصيرة والمسطحة.

لا، لم يكن سلوت جميلاً، وكان ذلك جزءاً من جماله..

الآخرون جعلوه يشعر وكأنه قبضة يد مشدودة، تلك الكدمات الصباحية كانت صوراً صغيرة غامضة لروحه.. الآخرون، جميعهم مهتمون بالمسرح مثله ومثل سوير، امتلكوا ملامح جميلة، وبطوناً مسطحة، وسلوكيات سهلة ومتهورة. مستلقين على كراسي الاسترخاء في جناحهم في دافنبورت، بينما يقف سلوت، وهو يتصبب عرقاً، كي لا يتجعد بنطال بدلته ويرتديه لبضعة أيام أخرى، كانوا أحياناً يشبهون تجمعاً لآلهة شباب.. بسترات من الكشمير التي تتدلى على أكتافهم كالصوف الذهبي.

كانوا في طريقهم ليصبحوا ممثلين وكتاب مسرحيات وأغانٍ. كان سلوت يرى نفسه مخرجاً.. يوقعهم جميعاً في شبكة من التعقيدات والتصاميم التي لا يستطيع حلها إلا هو.

سوير وتوم وودباين، اللذان بديا لسلوت أغنياء بشكل لا يُصدق، كانا زميلي سكن. كان لدى وودباين اهتمامٌ فاترٌ بالمسرح، وكان يتردد على ورشة عمل الدراما الجامعية لأن فيل كان يفعل ذلك، أما توماس وودباين، وهو طالبٌ مُتَقَنٌ آخر من مدرسةٍ خاصة، فقد اختلف عن الآخرين بجديته المطلقة وصراحته، كان ينوي أن يصبح محاميًا، وبدا أنه يتمتع بالفعل بنزاهته ونزاهة القاضي.. (في الواقع، تخيّل معظم معارف وودباين أنه سينتهي به المطاف في المحكمة العليا، لكن أحرج الصبي نفسه). كان وودباين يفتقر إلى الطموح، على حد تعبير سلوت، وكان مهتماً بالعيش

الصحيح أكثر بكثير من العيش الجيد. بالطبع، كان لديه كل شيء، وما افتقر إليه بمحض الصدفة سارع الآخرون في منحه إياه.. كيف يُمكنه، وهو مدللٌ بتلك الدرجة بالطبيعة والصداقات، أن يكون طموحًا؟ كان سلوت يكره وودباين، دون وعيٍ منه تقريبًا، ولم يستطع أن يُناديه «تومي». أخرج سلوت مسرحيتين خلال سنواته الأربع في جامعة ييل.. «لا مخرج»، التي وصفتها صحيفة الطلاب بأنها «فوضى عارمة»، و»فولبون». ووُصفت المسرحية بأنها «مضطربة، ساخرة، شريرة، وفوضوية بشكل لا يُصدق». اعتُبر سلوت مسؤولاً عن معظم هذه الصفات. ربما لم يكن مخرجاً في النهاية.. فرؤيته كانت مكثفة ومزدحمة للغاية.

لم تضعف طموحاته، بل تغيرت فحسب.؟ إن لم يكن في النهاية خلف الكاميرا، فقد يكون خلف من أمامها، بدأ فيل سوير يفكر بهذه الطريقة أيضاً لم يكن فيل متأكداً قط إلى أين سيأخذه حبه للمسرح، وظن أنه قد يمتلك موهبة تمثيل الممثلين والكتاب.

قال له فيل في سنتهما الأخيرة.. "هيا بنا إلى لوس أنجلوس ونؤسس وكالة. إنه أمرٌ جنوني للغاية وسيكرهه آباؤنا، لكن ربما سننجح فيه.. لذا سنموت جوعاً لبضع سنوات». علم سلوت منذ سنتهما الأولى أن فيل سوير ليس غنيًا على الإطلاق، إنه يبدو غنيًا فحسب.

"وعندما نستطيع تحمل نفقات تومي سنجعله محامينا..

سيكون قد تخرج من كلية الحقوق حينها.»

"بالتأكيد، حسنًا،" قال سلوت، معتقدًا أنه يستطيع إيقاف ذلك عندما يحين الوقت. "ماذا نسمي أنفسنا؟"

"أي اسم تريده. سلوت وسوير؟ أم نلتزم بالأبجدية؟"

"سوير وسلوت»، بالتأكيد، هذا رائع، ترتيب أبجدي،» قال سلوت، وهو يغلي غضبًا لأنه تخيل أن شريكه قد أغواه إلى الأبد، مشيرًا إلى أنه ثانوي بالنسبة لسوير. كره كلا الوالدين الفكرة، كما توقع فيل، لكن شركاء وكالة المواهب الناشئة سافروا إلى لوس أنجلوس بسيارة ديسوتو القديمة (مورغان، دليل آخر على مدى ذنب سوير)، وأنشأوا مكتبًا في مبنى بشمال هوليوود يعجّ بالجرذان والبراغيث، وبدأوا يتسكعون في النوادي، يوزعون بطاقات عملهم الجديدة. لا شيء.. ما يقرب من أربعة أشهر من الفشل الذريع، كان لديهم كوميدي ثمل لدرجة أنه لم يعد يُضحك، وكاتب لا يجيد الكتابة، وراقصة تعرٍّ أصرت على أن تتقاضى أجرها نقدًا حتى تتمكن من التلاعب بوكلائها. ثم في وقت متأخر من ظهيرة أحد الأيام، وهو ثملٌ من الماريجوانا والويسكي، أخبر فيل سوير سلوت ضاحكًا عن الأراضي.

"هل تعلم ما يمكنني فعله، أيها الشاب الطموح؟ أوه، هل يمكنني السفر، يا شريكي. إلى الأبد."

بعد ذلك بوقت قصير، وبينما أصبحا يسافران الآن، التقى

فيل سوير بممثلة شابة صاعدة في حفل استوديو، وفي غضون ساعة حصلا على أول عميل مهم لهما. وكان لديها ثلاثة أصدقاء غير راضين عن وكلائهم. وكان لدى أحد الأصدقاء صديق كتب بالفعل سيناريو فيلم جيد ويحتاج إلى وكيل، وكان لدى الصديق صديق... قبل أن تنتهي سنتهم الثالثة، كان لديهم مكتب جديد وشقق جديدة وشريحة من فطيرة هوليوود.

الأراضي، بطريقة تقبلها سلوت ولكنه لم يفهمها أبدًا، باركهم. كان سوير يتعامل مع العملاء؛ وكان سلوت يتعامل مع المال والاستثمارات والجانب التجاري للوكالة. أنفق سوير المال على وجبات الغداء وتذاكر الطيران، وادخره سلوت، وكان هذا كل ما يحتاجه من مبرر للعق القليل من الكريمة من الأعلى. وكان سلوت هو من دفعهم باستمرار إلى مجالات جديدة، وتطوير الأراضي والعقارات وصفقات الإنتاج. بحلول الوقت الذي وصل فيه تومي وودباين إلى لوس أنجلوس، كانت شركة سوير آند سلوت شركةً بملايين الدولارات.. اكتشف سلوت أنه لا يزال يكره زميله القديم في الدراسة؛ فقد زاد وزن تومي وودباين ثلاثين رطلاً، وبدا وتصرف، ببدلاته الزرقاء المكونة من ثلاث قطع، كقاضٍ أكثر من أي وقت مضى.. كانت وجنتاه دائمًا محمرتين قليلاً (هل هو مدمن كحول؟ تساءل سلوت)، وسلوكه لا يزال لطيفًا وعميقًا، لقد ترك العالم آثاره عليه.. تجاعيد صغيرة ذكية في زوايا عينيه، ونظراته باتت أكثر حذرًا بكثير من عيني الفتى المتألق في

جامعة ييل.

فهم سلوت على الفور تقريبًا، وعرف أن فيل سوير لن يلاحظ ذلك إلا إذا أُخبره، أن تومي وودباين يعيش مع سرٍّ هائل.. أيًا كان الفتى المتألق، فقد أصبح تومي الآن مثليًا، ربما كان سيُطلق على نفسه لقب مثلي.. وهذا سهّل كل شيء في النهاية، سهّل حتى التخلص من تومي.

لأن المثليين يُقتلون دائمًا، أليس كذلك؟ وهل أراد أحدٌ حقًا أن يكون هناك شخصٌ متعجرفٌ وزنه مائتان وعشرة أرطال مسؤولًا عن تربية صبيٍّ مراهق؟ يُمكن القول إن سلوت كان يُنقذ فيل سوير من عواقب خطأٍ جسيمٍ بعد وفاته. لو كان سوير قد جعل سلوت منفذًا لممتلكاته ووصيًا على ابنه، لما كانت هناك مشاكل. في الواقع، اقتحم القتلة من الأراضي.. نفس الشخصين اللذين أفسدا اختطاف الصبي عند إشارة المرور وكادوا أن يُعتقلوا قبل أن يتمكنوا من العودة إلى ديارهم.

كانت الأمور لتكون أبسط بكثير، كما فكّر سلوت للمرة الألف تقريبًا، لو لم يتزوج فيل سوير قط.

إن لم تتزوج ليلي، فلا جاك؛ إن لم يتزوج جاك، فلا مشاكل.. ربما لم يكن فيل ليُلقي نظرةً على التقارير عن حياة ليلي كافانو المبكرة التي جمعها سلوت.. لقد سردت أين وكم مرة ومع من، وكان ينبغي أن يقضي على تلك الرومانسية بسهولة كما حوّلت الشاحنة السوداء تومي وودباين إلى كتلةٍ على

الطريق، لو قرأ سوير تلك التقارير الدقيقة، لتركها غير متأثر، لكنه أراد الزواج من ليلي كافانو، وفعل.

كما تزوج توأمه اللعين من الملكة لورا.. مزيد من الاستخفاف، ورد الجميل بنفس الطريقة، وهو ما بدا لهم مناسبًا.

وهذا يعني، كما فكّر سلوت بشيء من الرضا، أنه بعد الاهتمام ببعض التفاصيل، سيُسوّى كل شيء أخيرًا. بعد كل هذه السنوات.. عندما يعود من شاطئ أركاديا، سيكون كل شيء في جيبه، وفي الأراضي، كان كل شيء على ما يرام.. على حافة الهاوية، جاهزًا للوقوع في يد مورغان، بمجرد وفاة الملكة، سيحكم نائب زوجها السابق البلاد، ويُجري جميع التغييرات الصغيرة المثيرة للاهتمام التي يرغب فيها هو وسلوت.. ثم يشاهد المال يتدفق، فكّر سلوت، وهو ينعطف عن الطريق السريع إلى مارينا ديل راي. ثم يشاهد كل شيء يتدفق!

حيث موكله، آشر دوندورف، الذي يسكن في النصف السفلي من شقة جديدة في أحد شوارع المارينا الضيقة الشبيهة بالأزقة، قبالة الشاطئ مباشرة.

كان دوندورف ممثلًا مخضرمًا حقق شهرةً وحضورًا ملحوظين في أواخر السبعينيات من خلال دوره في مسلسل تلفزيوني؛ حيث لعب دور مالك منزل الزوجين الشابين المحققين الخاصين، وكلا نجمي المسلسل كانا في غاية

اللطف كالباندا الصغيرة، تلقى دوندورف الكثير من الرسائل من ظهوره القليل في الحلقات الأولى، مما دفع الكُتّاب إلى زيادة دوره، وجعله بمثابة أب غير رسمي للمحققين الشابين، مما سمح له بحل جريمة قتل أو اثنتين، وعرضه للخطر، وما إلى ذلك. تضاعف راتبه مرتين وثلاث وأربع مرات، وعندما ألغي المسلسل بعد ست سنوات، عاد إلى العمل السينمائي، وهنا تكمن المشكلة حيث ظن دوندورف أنه نجم، لكن الاستوديوهات والمنتجين ما زالوا يعتبرونه ممثلًا ذا شخصية نعم مشهورًا، ولكنه ليس إضافة قيّمة لأي مشروع. أراد دوندورف زهورًا في غرفة ملابسه، أراد مصفف شعر خاصًا به ومدربًا للحوار، أراد المزيد من المال، المزيد من الاحترام، المزيد من الحب، المزيد من كل شيء. في الواقع، كان دوندورف أحمق.

عندما دفع سيارته بقوة إلى موقف السيارات وخرج منها، حريصًا على عدم خدش حافة بابه بالطوب، أدرك سلوت.. إذا علم، أو حتى اشتبه، في وقت ما خلال الأيام القليلة القادمة، أن جاك سوير قد اكتشف وجود الأراضي، فسيقتله.

هناك ما يُسمى بالمخاطرة غير المقبولة.

ابتسم سلوت لنفسه، ووضع قرصًا آخر من مضاد الحموضة في فمه، وطرق باب الشقة.. كان يعلم ذلك بالفعل.. سيقتل آشر دوندورف نفسه، سيفعل ذلك في غرفة المعيشة لإحداث أكبر قدر ممكن من الفوضى.. سيعتقد أحمق متقلب المزاج

مثل عميله السابق أن انتحارًا متهورًا حقًا هو انتقام من البنك الذي يحتفظ برهنه العقاري، وعندما فتح دوندورف الشاحب المرتجف الباب، كانت تحية سلوت الدافئة حقيقية تمامًا.

---

(1) فرقة بعالم مارفل

(2) سياسي أمريكي شغل منصب نائب الرئيس في عهد ريتشارد نيكسون من سنة 1969 إلى 1973 وهو أول نائب رئيس يستقيل من منصبه.

(3) عائلة انتجت العديد من أفلام الرسوم المتحركة وكتب الكوميكس وصنعوا نقلة نوعية في الرسوم المتحركة

(4) شركة أميريكية بارزة تختص في مجالي التكنولوجيا والنشر خاصة رسم الخرائط وتطوير أجهزة الملاحة.